بحث بعنوان

جماعة الأخوات القبيسيات

دراسة تحليلية لنشوء وانتشار الظاهرة وتأثيراتها على المجتمع العربي والإسلامي

إعداد الباحثة / سلام اسماعيل
مركز برق للأبحاث والدراسات

www.barq-rs.com

الفهرس

الفهرس 2

المقدمة 4

1. التاريخ والنشأة 6

1.1 ظروف النشأة وأسبابها 6

1.2 شخصية منيرة القبيسي 7

1.3 جماعة الأخوات القبيسيات 8

1.4 لباس الجماعة 9

1.5 جلسات الذكر 10

2. الشخصيات البارزة ومناطق انتشار الجماعة 11

2.1 قبيسيات سوريا 11

2.2 قبيسيات لبنان (السحريات) 12

2.3 قبيسيات الأردن (الطباعيات) 12

2.4 قبيسيات الكويت (بنات البيادر) 13

2.5 قبيسيات فلسطين (بنات فدوى) 14

3. ظاهرة التقديس المطلق 16

4. دور وأثر الجماعة في المجتمع 18

4.1 الصعيد الأسري 18

4.2 الصعيد التعليمي (المدارس) 19

4.3 المشاريع الخيرية 23

5. علاقة الجماعة بالتيارات الفكرية والدينية المختلفة 24

5.1 العلاقة مع الجماعات الإسلامية في سوريا 24

5.2 العلاقة مع الطائفة الشيعية 26

5.3 العلاقة مع التيار السلفي 26

5.4 موقف القوى والشخصيات اليسارية 28

6. الأخوات القبيسيات في وسائل الإعلام 29

7. انتقادات حول الجماعة 30

7.1 السرية المطلقة 30
7.2 الانتقائية 30
7.3 نشر البدع والضلالات 31
7.4 السطحية والتبعية 32
7.5 الشذوذ والمثلية الجنسية 32
7.6 اتهامات سياسية وأمنية 34
8. علاقة القبيسيات بنظام الأسد 35
9. موقف القبيسيات من ثورة 2011 36
10. الانشقاقات داخل الجماعة (كيف ولماذا؟) 39
10.1 أسباب عامة 40
10.2 الانشقاقات بعد ثورة عام 2011 40
11. القبيسيات إلى أين؟ 41
خاتمة 43
المصادر والمراجع 45

المقدمة:

عقب استيلاء حزب البعث العربي الاشتراكي على السلطة في سوريا، قامت حركة الإخوان المسلمين (الطليعة المقاتلة) بمحاولة انقلاب مسلح؛ إلا أنها باءت بالفشل، وسُحقت بِرَدٍّ دموي من قِبل حزب البعث. كانت أبرز نتائج هذا الانقلاب؛ أن تمكن حزب البعث من القضاء على الجماعة واجتثاث جذورها عن طريق القتل والتهجير أو الاعتقال طويل المدى، فلم يُبقِ بهذا الشكل على أي منافس أو طامع في السلطة.

في هذه الفترة أصبح التخوف من التدين والإسلام السياسي سمةً عامةً للحياة في سورية، بدأ المجتمع يميل نحو الانفتاح والابتعاد عن الدين بشكل خاص؛ نتيجةً لتأثر المدن الكبرى بهجرة أبناء الأرياف والأقليات الدينية والعرقية الكثيفة، ناقلين معهم عاداتهم وتقاليدهم، والتي تعد أكثر انفتاحًا بالنسبة لسكان المدن الكبرى.

آنذاك بدأ حزب البعث محاولة امتصاص غضب بعض الفئات المدنية المتدينة؛ وذلك بفتح الباب شيئًا فشيئًا أمام ظهور القوى والتيارات الدينية المعتدلة، المتمثلة في الإسلام الصوفي البعيد كل البعد عن التدخل في الحياة السياسية والأطماع السُلطوية.

فكان هذا برأيه هو الحل الأمثل لكل من؛ الجمهور السوري المتدين، وللسلطة السياسية الأمنية التي سعت من وراء ذلك وبشكل أساسي إلى السماح بانتشار هذه الحركات التي تتبنى منهج الإسلام الصوفي في مواجهة أي امتداد لتيارات إسلامية سياسية أخرى.

في السياق ذاته، تنبهت معظم الجماعات الدينية في سوريا؛ إلى أنه لا يمكن لها أن تبسط سيطرتها على المجتمع بشكل كامل، إلا عن طريق السيطرة على المرأة، فعملت على خلق جماعات وتنظيمات نسائية مرتبطة بها فكريًا وعقائديًا، كانت أكبر هذه التنظيمات وأشهرها وأكثرها استقلالية على الإطلاق هو "تنظيم القبيسيات" (كما يطلق عليه السوريين)، نسبةً إلى الآنسة منيرة القبيسي ابنة الصوفية الدمشقية، وتلميذة شيخ الطريقة الصوفية النقشبندية أحمد كفتارو (مفتي الجمهورية السورية سابقًا).

بسبب السرية والغموض المحيطَيْن بهذه الجماعة فقد كانت عبر تاريخها محط الانتقادات والشائعات، فلم يتم تناولها من قِبل الباحثين والمهتمين في مجال دراسات الجماعات الإسلامية ودراسات علم الاجتماع، كما أنه لم يُسلط الضوء عليها إعلاميًا بالرغم من انتشارها الواسع في العديد من العواصم والمدن العربية والغربية، حتى تاريخ السماح لها بممارسة النشاط العلني في سوريا عام 2006م.

ونظرًا لقلة الدراسات، التي قد تصل إلى حد الندرة حول جماعة القبيسيات، وتأثيراتها على المجتمع السوري والإسلامي بشكل عام، وإلى ظهور تغير جذري في أهم مبدأ قامت عليه الجماعة، وهو الابتعاد عن العمل السياسي أو التدخل بالشأن السياسي، والذي بدا واضحًا من خلال موقفهم المؤيد لنظام الأسد بعد ثورة عام 2011.

بناءً على ذلك ارتأينا أن نعمل على إعداد دراسة مفصلة حول هذه الجماعة الغامضة، لنلقي الضوء على أسباب نشوئها، ونتعرف على شخصية الآنسة منيرة القبيسي والآنسات البارزات في هذه الجماعة، مستعرضين علاقتها بالجماعات الإسلامية الأخرى، ومدى انتشارها عربيًا وعالميًا، ولنسلط الضوء كذلك على أثرها في المجتمع بشكل عام، وفي مجال التربية والتعليم على وجه الخصوص، وذلك لكون التعليم أحد أكبر اهتماماتها.

وسنقوم أيضًا بتناول علاقتها بالسلطة والأنظمة الأمنية، وعرض التهم المُوجهة لها من قِبل أعدائها؟ ونتعرف على موقف هذه الجماعة من أحداث عام 2011 في سوريا بشكل تفصيلي، والأسباب الكامنة وراء هذا الموقف؟ آملين أن نقدم عرضًا وتحليلًا وافيًا حول جماعة القبيسيات الغامضة.

1. التاريخ والنشأة:

1.1. ظروف النشأة وأسبابها:

في ثمانينات القرن الماضي ما بين عامي 1981–1982، وتحديداً بعد تفجير الأزبكية، وأحداث الإخوان المسلمين، بدأت بعض الحركات الدينية القديمة التي تنتمي بغالبيتها إلى التيار الصوفي؛ بالانتشار بطابع ديني جديد، ضمن مجتمع أخذ يبتعد عن التدين شيئًا فشيئًا، في هذه الأثناء عملت الأنظمة العربية ومنها حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا، على التقرب من مشايخ الطرق الصوفية بشكل خاص؛ في ظل تصاعد حركات الإسلام السياسي من سلفية وإخوانية في الوطن العربي عمومًا [1].

على صعيد المجتمع بشكل عام، أخذت الجماعات الإسلامية الصوفية ومُريدوها، يتحركون بكامل حريتهم معززين بدعم حكومي، ومناصب في السلطة، ونشرٍ لمؤلفاتهم على نطاق واسع، والتي تمنع الخروج على الحاكم وإن كان ظالمًا [2].

في دمشق على وجه التحديد، أخذت بعض المدارس الخاصة التي تسيطر عليها هذه الحركات بالظهور والانتشار، والتي كان هدفها الحد من انتشار حركات الإسلام السياسي، والسيطرة على المجتمع؛ من خلال تقديم الدين كَحَلٍّ منعزل عن أي جوانب سياسية، وتصوير الدين على أنه مجموعة من الفرائض والعبادات، وبعبارة أخرى كمتنفس للسوريين المتدينين ليمارسوا عقائدهم وطقوسهم بعيداً عن أي تدخل في الأمور السياسية للبلاد.

أما على الصعيد النسائي، فقد كان لحال المرأة وصورتها في المجتمع دور كبير في التمهيد لظهور حركات إسلامية نسائية؛ لمواجهة هذا الخطاب الديني الذكوري. فقد كان المشايخ وتجار الدين يغدقون بوصف جنة اللَّه المخصصة للرجال فقط، في الوقت الذي أخذوا فيه بتهديد المرأة المسلمة بالوعيد وبجهنم التي حطبها من النساء، ونشر كل الصور المريعة من تعذيبٍ للمرأة في الآخرة كتعليقها من شعرها وحرقها في جهنم، وما إلى ذلك من مشاهد الترهيب الشنيعة التي تعمل على تبرير الخطأ الذكوري، وتصوير إله يقبل توبة الرجل، في حين أنَّ خطأ المرأة غير مبرر ولا تُقبل توبتها، مع أنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ المستمدة

(1) نزال، عمران سميح، الطرق الصوفية في الأزمة وحدة الجذور واختلاف المصير، كتاب الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة1، 2013، ص480.

(2) نفس المصدر السابق.

من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لم تُقدم أي شكل من أشكال التمييز بين الذكر والأنثى في مواضيع الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي.

في ظل هذه الأجواء السائدة والأفكار المشوِّهَة للدين فيما يخص المرأة، كان لابد من ظهور شخصيات قيادية إسلامية نسائية؛ لتعمل على مواجهة هذه التحديات بطرق مختلفة، كان من أهمها وأشهرها إسلاميًا، الشيخة منيرة القبيسي.

1.2. شخصية منيرة القبيسي:

في سبعينات القرن الماضي، وفي العاصمة دمشق تحديداً، ظهرت امرأة من عائلة دمشقية عريقة تدعى منيرة القبيسي، من مواليد عام 1933م.

تخرجت القبيسي في جامعة دمشق، كلية العلوم الطبيعية، وعملت بعدها كمدرسة لمادة العلوم في إحدى مدارس دمشق، حيث عُرفت بشخصيتها الكاريزمية، وذكائها، وقدرتها على التأثير بمن حولها، وجذبهم للاستماع لأفكارها وطروحاتها [3].

لم تكتفِ منيرة القبيسي بدراستها للعلوم، بل قررت متابعة دراستها بكلية الشريعة الإسلامية في جامعة دمشق؛ لكي تتمكن من الاضطلاع بالدين بشكل أكاديمي، فالقبيسي كانت لديها معرفةً دينيةً؛ كونها تلميذة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سوريا سابقًا، وشيخ الطريقة الصوفية النقشبندية في دمشق، كما كان والدها وعمها (أبو الخير القبيسي) من قبلها.

بدأت منيرة القبيسي تستغل عملها كمدرسة، ومن ثم كونها إحدى بنات العائلات العريقة؛ لتتمكن من الدخول إلى منازل العائلات الدمشقية العريقة والغنية، حيث بدأت بنشر أفكارها بطريقة جذابة كخطوة أولى لتأسيس أكبر تنظيم نسائي إسلامي في سوريا، وهو ما يطلق عليه اليوم من قبل السوريين اسم "القبيسيات" أو " الأخوات القبيسيات".

تُعَدُّ منيرة القبيسي، التي تختلف تسميتها بين "الشيخة الكبرى" أو "الآنسة الأم"، ظاهرةً فريدةً في التاريخ الإسلامي الصوفي إذا ما استثنينا رابعة العدوية التي كانت إحدى مؤسسات نظرية الحب الإلهي عند الصوفية [4]. ومع أنَّ القبيسي لم تقدم أي إنتاج فكري ديني صوفي؛ إلا أنها عملت على تأسيس أكبر جمعية نسائية في العالم الإسلامي.

(3) عماد، عبد الغني، الجماعات الصوفية والإسلامية والأنماط الجديدة للتدين في سوريا، كتاب الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص525.

(4) عودة، أمين يوسف، التصوف في بلاد الشام التاريخ والأثر والواقع المأمول، كتاب الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص10.

1.3. جماعة الأخوات القبيسيات:

هي جماعة نسائية صوفية، تهتم بشكل خاص بالتربية والتعليم، وتمثل ظاهرةً هي الأولى من نوعها في العالم الإسلامي، حيث تشير الإحصائيات بأنَّ أكثر من 75 ألف امرأة هنّ عضوات في جماعة القبيسيات في سوريا وخارجها. تنتشر هذه الجماعة بشكل كبير في دمشق وحمص، بالإضافة إلى كلٍ من لبنان وفلسطين والأردن وبعض دول الخليج العربي، كما وصل انتشارهن إلى أوروبا وصولًا إلى القارة الأمريكية وأستراليا.

وما يميز هذه الجماعة؛ أنَّ معظم عضواتها هنّ من عائلات معروفة وثرية، مثل: آل كزبري، الطباع، جبريل وقويدر، هذه العائلات المشهورة في سوق العملة في دمشق.

ازدادت القوة الاقتصادية لجماعة القبيسيات أثناء الحصار الاقتصادي على سوريا في ثمانينات القرن الماضي، حيث قامت الحكومة خلال تلك الفترة باعتقال وتصفية جميع مكتنزي الأموال المشهورين من الرجال بحجج أمنية، فبقيت نساء تلك الجماعة مع ثروة هائلة غير معلنة تحت تصرفهن، وظَّفنَها لدعم انتشار الجماعة عن طريق المشاريع والنوادي الاجتماعية والاعمال الخيرية في سوريا والخليج العربي [5].

وبالرغم من الوضع المزري للمرأة في سورية، حيث كانت ولازالت تعاني من اضطهاد من قبل الحكومة التي تدعى العلمانية أحيانًا، والتدين أحيانًا أخرى، لم تُقَدِّم جماعة القبيسيات أية تصورات أو طروحات؛ لتحسين واقع المرأة أو لنيل حقوقها، على غرار الحركة النسوية الإسلامية، التي أخذت تبحث في النصوص الإسلامية، التي كان تفسيرها منذ فجر الإسلام حكرًا على الرجال، لتستخرج منها العديد من الأحكام الشرعية، التي تتوافق مع كون المرأة إنسانًا مساويًا للرجل في الحقوق والواجبات الإنسانية والدينية.

فعلى سبيل المثال، نرى كيف أنَّ بعض مواد الدستور السوري، تتعامل بشكل إيجابي مع قضية تحرر المرأة، ولكن نجد النقيض تمامًا في قانون الأحوال الشخصية، وبعض مواد قانون العقوبات، والأمر الدائم لوزير الداخلية رقم 876 لعام 1979، والذي يمنع

---

(5) Altaher Shkek, Silver John, القبيسيات الماسونية الضائعة، مجلة الملحدين العرب، العدد 22، 2014م.

تنقل وسفر الزوجة دون موافقة الزوج، إضافة إلى العديد من القوانين المتناقضة والمجحفة في حق المرأة السورية كقوانين الوصاية والشهادة ...إلخ [6].

هذا إضافةً إلى تحيز المجتمع بشكل عام للرجل على حساب المرأة، هذا المجتمع الذي يحاول تجريد المرأة من إنسانيتها باسم الدين، ويحرمها من حقوقها التي شرعها لها الدين الإسلامي.

حاول العديد من دارسي هذه الظاهرة إلقاء اللوم على الدين الإسلامي، واتهامه بالتقليل من شأن المرأة، بل والإساءة إلها، مستشهداً بأقوال للنبي الكريم محمد _صلى اللّه عليه وسلم_ وعلي _رضي اللّه عنه_ [7]، وهي في الحقيقة أقوال غير مثبتة الصحة، بل وتتعارض مع ما ذُكر في الكتاب والسنة حول المرأة، وعلى ما يبدو أنَّ هؤلاء لم يقرؤوا ما ورد من أقوال عن المرأة من قِبل كثير من فلاسفة وكتاب الإغريق والأوربيين قديمًا وحديثًا، يقول أبقراط أن: "المرأة هي المرض"، أما نتشه فيجد أن المرأة "اللعوب هي الأكثر خطورة".

إذًا فالمشكلة لا تكمن في التشريع الإلهي، وإنما في الفهم والتطبيق البشري لهذا التشريع، فالقرآن الكريم نزل مخاطبًا الذكر والأنثى على حد سواء.

1.4. لباس الجماعة:

لجماعة القبيسيات لباس خاص، يُفرض على القبيسية الالتزام بارتدائه كما في الأنظمة العسكرية الصارمة، فبإمكان أي شخص أن يَتعرَّف عليهنّ في الشارع، وأن يعرف مرتبة القبيسية من خلال لون الحجاب الذي تضعه على رأسها؛ كما نتعرف على رتبة ضباط الجيش من لون البدلة العسكرية وعدد النجوم.

يتميز لباس الأخوات القبيسيات في سورية، بالمعطف الكحلي الغامق، والحذاء الاسود من دون كعب، والجوربين النسائيين السميكين.

(6) الرحبي، مية، واقع المرأة السورية اليوم، الحوار المتمدن 2005، العدد 1189.

(7) فياض، نبيل، الخلفية الجنسية للقبيسيات، موقع الناقد 2005.

وكما ذكرنا أعلاه فمرتبة القبيسية تُعرف من خلال لون حجابها، والانتقال بين الألوان لا يتم إلا بإذن الآنسة القبيسية، فاللون الأبيض، للمنتسبات الجدد؛ واللون الأزرق، لحافظات القرآن؛ أما الكحلي، فلا ترتديه إلا القبيسية المتمكنة من أمور الدين والقرآن والفقه، وكلما اقترب اللون من الأسود، كان ذلك مؤشرًا على اقترابها أكثر من الآنسة الأم [8]. ويُقال أنَّ على المرأة القبيسية ارتداء زي معين من الملابس حتى داخل منزلها، مع التشديد على وضع القمطة على الرأس، أما البنطال فهو ممنوع بشكل تام داخل البيت وخارجه؛ لما فيه من تشبه بالرجال.

1.5. جلسات الذكر:

بما أن جماعة القبيسيات تتبع الطريقة الصوفية النقشبندية، فلا بد لنا أن نذكر هنا الأوراد النقشبندية.

فالأوراد والأذكار ركن مهم عند النقشبندية، فلا يصل الصوفي النقشبندي إلى اللَّه سبحانه وتعالى إلا من خلال الأوراد والأذكار، وهم لا يحددون لذلك زمانًا أو مكانًا معينًا، ولهم في الذكر طريقتان:

- الذكر الجهري: إذ يجتمع المريدون معًا، ويذكرون اللَّه جهرًا.
- الذكر الخفي: وهو أعلى أنواع الذكر وأفضلها [9].

والذِّكر غير محدد بلفظ وإن كان أفضلها لفظ الجلالة (اللَّه)؛ لأنها تُعبر عن المقصود. وللذكر طريقتان:

- التلقين من الشيخ إلى المريد.
- التلقين الصامت من المريد نفسه.

وتتميز النقشبندية عن غيرها، بالذكر الخفي؛ وهو أن يحاول المريد كتم أنفاسه ليصبح في حالة شوق وحنين للَّه سبحانه وتعالى، وهم في ذلك يعتمدون على القلب ويربطونه بالعقل ثم اللسان [10]. إنَّ هذه الأذكار والأوراد ترتقي بالمريد إلى أعلى مراتب الصفاء الروحي والتقرب من اللَّه، ليصبح بذلك قلبه خالصًا للَّه وحده، وتتحقق له الإجابة فيما يدعو به اللَّه.

---

(8) عماد، عبد الغني، الجماعات الصوفية والإسلامية والأنماط الجديدة للتدين في سوريا، كتاب الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص526.

(9) الحبازي، مشهور، الطرق الصوفية في فلسطين ما بين عامي (1989-2011)، كتاب الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص116.

(10) المرجع السابق، ص117.

وفي الغالب فإنَّ القبيسيات يتبعن نفس الطريقة والأوراد في جلساتهن التي تقام في المنازل، حيث أنهن يَدَّعِين أنَّه بفضل دعائهن وصلواتهن الخاصة تم تحرير الكويت.

2. الشخصيات البارزة ومناطق انتشار الجماعة:

كما أشرنا سابقًا فقد نشأت هذه الجماعة في العاصمة السورية دمشق، ثم امتدت لتشمل عددًا من الدول العربية والأوربية، حتى أنها وصلت إلى القارة الأمريكية الشمالية وأستراليا، وهنا سنقوم بالحديث عن فروع هذه الجماعة في الدول التي شهدت أكبر نسب انتشار لهن.

2.1. قبيسيات سوريا:

على الرغم من انتشار هذه الحركة لتشمل معظم قارات العالم، لكنّ المركز الرئيسي لها بقي في دمشق مكان انطلاقتها الأولى؛ فالأنسة الأم (منيرة القبيسي) مقيمة في دمشق، وباستطاعة أي شخص ملاحظتهن يسرن أفواجًا في شوارع دمشق مرتديات لباسهن الموحد الخاص بهنّ.

تلي دمشق في نسبة الانتشار مدينة حمص، أما مدينة حلب فلم تستطع هذه الجماعة اختراق الجماعات الدينية النسائية فيها بشكل كثيف، وذلك لعدة أسباب من أهمها: عراقة المدارس والطرق الصوفية وتنوعها في المدينة، بالإضافة إلى طبيعة سكان المدينة المميزة والمختلفة عن باقي المدن السورية؛ بحيث لا يمكنهم تقبل أفكار هذه الجماعة فيما يخص تدخل الآنسات في تفاصيل العلاقة الزوجية على سبيل المثال، أما في الارياف والمدن الصغرى فلم يسجل انتشار واضح لهن حيث أن طبيعة المجتمع وعادات السكان هناك تختلف عن المدن الكبرى.

أما عن أهم الشخصيات البارزة في هذه الجماعة في سوريا، فهن آنسات غير متزوجات من بينهن:

خير جحا، منى قويدر، دلال الشيشكلي، نهيدة طرقجي، فائزة الطباع، أميرة جبريل، سلمى عياش، رجاء تسابحجي، نبيلة الكزبري، فاطمة غباز وسميرة زايد مؤلفة كتاب (الجامع في السيرة النبوية) في عشرة أجزاء، و(مختصر الجامع) في جزئيين، في منتصف التسعينات، إضافةً إلى سعاد ميبر المُدَرِّسة في معهد الفتح، وصاحبة كتاب (عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة).

2.2. قبيسيات لبنان (السحريات):

من دمشق امتد الإشعاع القبيسي ليصل إلى لبنان عبر شخصية كاريزمية مميزة، كان لها الفضل الكبير في انتشار هذه الجماعة في لبنان والكويت بشكل خاص، ودول الخليج العربي بشكل عام، وهي الآنسة أميرة جبريل (شقيقة أحمد جبريل)، المنحدرة من أسرة فلسطينية يسارية، والتي تُعد أقرب الآنسات للشيخة الكبرى.

أسست أميرة جبريل الجماعة في لبنان، ومن ثم تركت القيادة لآنسة لبنانية تدعى سحر حلبي، التي نشأت في فترة السبعينات، ودرست علم النفس في جامعة السان جوزيف (اليسوعية)، ثم توجهت إلى دمشق لتتتلمذ على يد منيرة القبيسي، فكانت من أفضل طالباتها وأكثرهن التزامًا، حيث ثابرت على دراسة العلوم الشرعية من الكتب الخاصة لدى الآنسة منيرة القبيسي من فقه وحديث وعقيدة وسيرة، وبعد كل هذا كانت الشخص الأكفأ لحمل عِبئ الدعوة القبيسية في لبنان. حتى أنه قد أُطلق على أتباعها اسم "السحريات" من قبل اللبنانيين.

2.3. قبيسيات الأردن (الطباعيات):

أما في الأردن فقد ظهرت الآنسة ذات الأصول الدمشقية فادية الطباع، والتي عملت على نشر أفكار القبيسيات في عمان، فاستطاعت بشكل سريع اختراق أهم العائلات في عمان، حيث بدأت دروسها في المنازل، حتى أطلق على أتباعها اسم "الطباعيات"، وما يشير إلى أنهن على علاقة بالتنظيم الرئيسي في دمشق، هو اتباعهن لنفس النظام من ملابس وتنظيم إداري وجلسات الذكر، والامتناع عن التدخل في الشؤون السياسية أو الحديث للإعلام.

إضافة إلى اهتمامهن بالمدارس والتعليم، حيث تُعد الآنسة فادية الطباع إحدى المساهمات في مدرسة "الدر المنثور" في عمان، والتي تُركز بشكل أساسي على تحفيظ القرآن [11].

(11) سلطان، عزت، الطباعيات في الأردن، موقع الراصد، 2008، انظر الرابط: http://www.alrased.net/main/

2.4. قبيسيات الكويت (بنات البيادر):

بعد تأسيسها للتنظيم في بيروت، عملت أميرة جبريل على تأسيس جمعية "بيادر السلام" المعروفة في الكويت عام 1981م، وذلك بمساعدةٍ كبيرةٍ من يوسف سيد هاشم الرفاعي المرجع الصوفي الكويتي [12].

ومن ثم عملت أميرة جبريل على تسليم مجلس إدارة الجمعية لدلال عبد اللّه عثمان.

في الحقيقة فإنَّ تنظيم الكويت يختلف عن باقي التنظيمات، فجمعية "بيادر السلام" جمعية مرخصة من قبل الحكومة الكويتية، وتعمل بشكل علني ضمن أطر العمل المؤسساتي، وهي مرخصة ضمن منظمات وجمعيات النفع العام التابعة لوزارة العمل والشؤون الإجتماعية [13].

وفي سياق الحديث حول الجماعة في الكويت، لابد لنا أن نشير إلى أن أصابع الاتهام في دول الخليج بشكل عام، بدأت تشير إلى خطر انتشار هذه الجماعة، وتحديداً في قطر والإمارات كدعوة باطنية قائمة على السرية [14].

---

(12) عماد، عبد الغني، الجماعات الصوفية والإسلامية والأنماط الجديدة للتدين في سوريا، كتاب الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص534.

(13) دليل الكويت، موقع المواقع انظر الرابط:

(14) الخاطر، مريم، تنظيم عقدي خطير يستهدف نساء قطر... فانتبهوا، موقع بوابة الشرق، 2013، انظر: http://www.al-sharq.com

2.5. قبيسيات فلسطين "بنات فدوى":

يُطلق أهل نابلس على قبيسيات فلسطين اسم "بنات فدوى"؛ نسبةً للحاجة فدوى حميّض، وهي عزباء تجاوزت الثمانين عامًا، من عائلة مرموقة في مدينة نابلس، وقد درست اللغة الانكليزية في العاصمة السورية دمشق [15].

وكما يبدو لنا فإنَّ الحاجة فدوى وخلال تواجدها في دمشق، كانت على اتصال بمنيرة القبيسي أو إحدى الآنسات المقربات منها، فعملت على تطبيق هذه التجربة بعد عودتها إلى فلسطين، مع إضافة بعض التعديلات. فنرى إحدى الآنسات المقربات من الحاجة فدوى وهي الحاجة رغد الأغبر تقوم بلقاء صحفي لِتَّردَ على بعض التهم الموجهة لبنات فدوى؛ من أن الحركة تمنع الزوجة من التعري والتزين لزوجها، على خلاف ما جرت العادة لدى القبيسيات عند تعرضهن للانتقادات بالرد الغير مباشر، من خلال تصريحات رجال دين مقربين منهن أمثال الشيخ صلاح كفتارو والبوطي ومحمد حبش.

الحقيقة أنَّ بنات فدوى يتمتعن بسمعة جيدة في نابلس، ولكنّ الأمر لا يخلو من الشائعات والاتهامات، منها ما يدور حول التزامهن بأسلوب حياة معين، أو اتباع مشايخ محددين، وهذا ما نفته الحاجة الأغبر.

أما بشأن الحياة السياسية والوضع السياسي في فلسطين، فشأن بنات فدوى شأن القبيسيات الأخريات، ليس لهن أي علاقة أو رأي في النزاع الدائر بين حركتي فتح وحماس، في حين أنهن يشاركن في انتخابات مجالس الطلبة والانتخابات البلدية وليس أبعد من ذلك [16].

(15) العربية، نت، قبيسيات فلسطين ينفين منع التزين للزوج والتعري أمامه، 2007، انظر الرابط: https://www.alarabiya.net

(16) المصدر السابق نفسه.

أما عن علاقة "بنات فدوى" بالقبيسيات في سوريا، وعن كونها امتداد فلسطينيًا للقبيسيات، فتقول الأغبر: "لسنا امتداداً لأحد على الاطلاق، سواء في سوريا أو غيرها، ولا اتصال بيننا وبين القبيسيات في سوريا وغيرها"[17]. وهذا الأمر صحيح غالبًا، فقد تكون الحاجة فدوى أُعجبت بالنظام القبيسي وحاولت نقل التجربة بدون اتصال مباشر مع منيرة القبيسي أو التابعات لها.

أما في مصر، فقد انتشرت عدة إشاعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، حول وجود آنسات قبيسيات في مصر يعملن تحت اسم "جمعية الزهروان"، ورئيسة هذه الجمعية شيرين فتحي، وهي زوجة أحد كبار المسؤولين في نظام مبارك السابق.

تسيطر هذه الجمعية على مساجد كبيرة ومهمة يرتادها الأغنياء فقط؛ بهدف جمع الأموال لدعم دعوتهم.

يكمن وجه الشبه بين جمعية الزهروان وتنظيم القبيسيات؛ بأنهن تنظيمات نسائية تنشط في المجال الديني النسائي الخيري والتعليمي.

لكن لا يوجد ما يثبت أي ارتباط أو تبعية لهذه الجمعية بقبيسيات سوريا، ومع كونها جمعيةً نسائيةً، إلّا أنَّ لديها العديد من النشاطات الموجهة للذكور، ولا تلتزم نساء الجمعية بزي معين وهو أمر في غاية الأهمية، بالإضافة إلى اختلاف البيئة الاجتماعية، والحالة الدينية بين بلاد الشام ومصر، فمن الممكن أن تكون البيئة الاجتماعية المصرية غير مناسبة لنشوء مثل هذه الحركات.

(17) المصدر السابق نفسه.

3. ظاهرة التقديس المطلق:

بما أن جماعة القبيسيات تتبع منهج الطريقة الصوفية النقشبندية كما أشرنا سابقا، فهنّ يتعاملن بنفس الأسلوب القائم على علاقة الشيخ بالمريد، فوجود الشيخ أمر أساسي وضروري للمريد؛ لأنه يشكل حمايةً له من اتِّباع الشهوات وهوى النفس، فلا تَصوُّف بدون الشيخ.

إلا أنَّ ما يميز الطريقة النقشبندية عن غيرها من الطرق الصوفية، وأحد أهم الأسباب التي جعلتها محل انتقاد حاد من أعدائها، أنَّ النقشبنديين اعتبروا الرابطة أمرًا مقدسًا، ومن أعظم طرق الوصول إلى اللَّه، وهي تعني "أنَّ المُريد يربط قلبه بالصادقين من المشايخ، الذين نَزَّهوا نفوسهم عن الغير والسوى"[18].

وهذا ما يبرر علاقة هذه الجماعة التي يصل عدد عضواتها إلى عشرات الآلاف من المريدات المدينات بالولاء المطلق الغير مشروط للشيخة (الآنسة)، حيث تحتل الشيخة الكبرى أو الآنسة الأم منيرة القبيسي أعلى مرتبة دينية في هرم الجماعة التنظيمي؛ مما يمنحها صفة التقديس المبالغ فيه إلى حد التأليه، فهي الوسيط لدى المريدات، والطريق للوصول إلى اللَّه سبحانه وتعالى[19].

والشيخة لا يجوز مناقشتها وأوامرها مطاعة، فطاعتها من طاعة اللَّه، وحبها من حب رسول اللَّه، فكلما اقتربت المريدة من الشيخة وتفانت في خدمتها كلما اقتربت إلى اللَّه حيث تصل لدرجة الكمال، وبذلك تنتقل من مرحلة العوام إلى الخواص، ومن أهم المقولات المتداولة لديهن في هذا الخصوص:

- "لا علم ولا وصول إلى اللَّه من دون مربية".
- " من قال للشيخة: لِمَ؟ لم يفلح أبدًا".
- "من لا شيخ له فشيخه الشيطان".
- "من لم ينفعه أدب المربي؛ لم ينفعه كتاب ولا سنة".
- "أوامر الشيخة مطاعة فطاعتها من طاعة الرسول".

(18) درنيقة، محمد، الطريقة النقشبندية وأعلامها، سلسلة التصوف الإسلامي، الطبعة الأولى، 1992، ص29.

(19) سركيس، منى، جمعيات نسائية باطنية في سوريا باسم الإسلام القبيسيات يعملن لاختراق مراكز القرار، موقع قنطرة، 2006،
انظر الرابط: http://ar.qantara.de/

- "المُريدة جسد متفاني في خدمة الآنسة"[20].

كما نجد أيضًا العديد من الشهادات لمنشقات عن التنظيم يتحدثن عن المبالغة في تقديس الآنسات، فعند دخول الآنسة للدرس تتسابق الحاضرات لتقبيل يدها وتبجيلها، حتى عندما تشرب من كأس الماء فإن ما يتبقى من كأسها طاهر؛ ومن تشرب من بعدها تكون صاحبة حظ سعيد، فطاعة الآنسة الأم، والآنسات الأخريات، أهم من طاعة الأهل أو الزوج أو الوصي، فعلى المرأة أن تطيع الآنسة حتى لو أمرتها بالطلاق من زوجها مثلا، فالمريدة لا تستطيع رفض أوامر الآنسة، فخيانتها تُعَدُّ مُعادِلةً لخيانة اللَّه [21].

ويُقال إنهن في جلساتهن يستحضرن الآنسة الأم. ومن أقوالهن الشهيرة:

شيختنا لو كنَّا أينما كنَّا فهي معنا لا تُضَيِّعُنا[22].

ومع انتشار تلميذات القبيسي في بلدان مختلفة، أصبحت زيارة الشام عندهن واجب مقدس، وحلم لكل قبيسية، لدرجة أنهنّ أطلقنّ على زيارة الشام اسم "رحلة كعبة المعاني"، في حين أنهنّ يطلقنّ على زيارة مكة المكرمة لأداء فريضتي الحج والعمرة اسم "رحلة كعبة المباني"[23].

وعلى الرغم من أن رؤية الآنسة الأم قليلًا ما تتم، ولا يتاح للجميع مقابلتها، فاحتجابها يزيد من هيبتها، ويمنح في الوقت ذاته فرصةَ الظهور والبروز لقيادات الصف الأول في الجماعة. وللقبيسيات عند مقابلة الآنسة أو الشيخة الكبرى دعاء خاص وهو "اللهم اجمعنا على ألمها واجمعنا على أملها"[24].

فحالة الارتباط الكبيرة بين الشيخ والمريد أحد أهم المسالك لجميع الطرق الصوفية، ومع أنَّ الطريقة النقشبندية قد بالغت في هذه العلاقة، إلا أنَّ القبيسيات بشكل خاص، وصَلْنَ بها إلى درجة كبيرة من الغلو.

---

(20) ملحم، نبيل، القبيسياتفي سوريا بين التكفير والتبجيل والحيرة، موقع البوابة 2006، انظر الرابط: http://www.albawaba.com/ar/

(21) سركيس، منى، جمعيات نسائية باطنية في سوريا باسم الإسلام القبيسيات يعملن لاختراق مراكز القرار، موقع قنطرة، 2006، انظر الرابط: http://ar.qantara.de/

(22) السيد، أسامة، دراسة شاملة عن التنظيم النسائي الخطير لمنيرة القبيسي، دار المشاريع، الطبعة الأولى، 2003، ص77.

(23) عماد، عبد الغني، الجماعات الصوفية والإسلامية والأنماط الجديدة للتدين في سوريا، كتاب الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص532.

(24) المصدر السابق نفسه.

4. دور وأثر الجماعة في المجتمع:

4.1.الصعيد الأسري:

بدا واضحًا في السنوات الأخيرة في سورية وفي دمشق تحديدًا، تأثير هذه الجماعة في المجتمع الدمشقي بكافة مفاصله، فجماعة القبيسيات أخذت على عاتقها مهمة التحكم بأهم عنصر في المجتمع وهو المرأة، من خلال العمل على تربية الفتيات منذ نعومة أظافرهن وحتى يصبحن زوجات وأمهات مربيات، لينشئن أجيالًا كاملةً على نفس النهج الذي يسرن عليه، فمعظم مدارس دمشق الخاصة تابعة لهن، إضافةً إلى انتشارهن كمدرسات ومديرات في المدارس الحكومية والمدراس الشرعية، ولا يخفى على أحد بالطبع دور المدارس والتعليم في تكوين شخصية الطفل وأفكاره التي سيحملها مدى الحياة.

من خلال هذا المنهج تتمكن القبيسيات من متابعة الفتيات منذ الصغر لتتدخل في أدق الأمور التي تخصهن فعلى سبيل المثال وبالرغم من كون الآنسة الأم (منيرة القبيسي) والكثيرات من الآنسات المحيطات بها عازبات، إلا أنهنّ يقمنَ بتحديد الزوج المناسب للفتاة من وجهة نظرهنّ وإن كانت تتعارض مع رغبة الأهل، إلا أن رأي الآنسة هو الأهم بالنسبة للفتاة المسلوبة الإرادة بطبيعة الحال.

والحقيقة أنَّ الزوج المناسب من وجهة نظرهنّ؛ هو من يعمل على تحقيق مصالح الآنسات والتنظيم، حتى وإن كان غير ملتزم بالدين أصلًا، فالمهم ألا يمانع تفرغ زوجته للعمل الدعوي وأن يقدم كل إمكاناته في سبيل خدمتهنّ، فقد تغلغلت القبيسيات في أوساط الطبقة المخملية وازداد نفوذهن عبر زواج بعض المريدات من رجال أعمال ومتنفذين، إضافة إلى أن زواج بعضهن من مغتربين ساهم في انتشار التنظيم في دول عديدة من العالم.

لا يقتصر دور الآنسات القبيسيات على اختيار الزوج وإنما يتحكمن بحياة هذه الأسر كاملة، حيث تتدخل الآنسة في أكثر الأمور خصوصية في الحياة الزوجية فمثلًا، تقوم الآنسات بشرح مفهوم القوامة بأن على الزوج أن يقدم جميع الطلبات المادية لزوجته

فإن عجز فليس من حقه أن يدعوها للفراش [25]. وهو حقيقة مفهوم القوامة في الإسلام كما جاء في الآية الكريمة "الرجال قوامون على النساء بما فضل اللَّه بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم"[26].

فصحيح أنَّ تفسير هذه الآية ينص على أن مفهوم القوامة مرتبط بإنفاق الرجل على زوجته وأنه يحق لها أن تطلقه إن لم ينفق عليها، إلا أنَّ المُشرِّع لم يحدد شكل وكمية الإنفاق، فقد تكون طلبات الزوجة مبالغًا فيها، وفوق مقدرة الزوج المادية، وبذلك يكون المخاطبين بهذه الآية هم الأزواج الذين لا ينفقون على منازلهم وزوجاتهم إطلاقًا.

فهل من المنطق ألا تستجيب المرأة لزوجها لأنه غير قادر على تأمين جميع متطلباتها التي يمكن أن تكون مبالغةً فيها بشكل كبير؟ وهل هذا هو الشكل الصحيح للحفاظ على العائلة والعلاقة بين الزوجين؟

نسمع أيضًا الكثير من الأزواج يشتكون من تدخل الآنسات القبيسيات في تفاصيل حياتهم العائلية، فالعديد من النساء يهملنّ بيوتهنّ وأولادهنّ بسبب الدروس والنشاطات التي تقيمها الآنسات القبيسيات.

هذه الأسباب أدت إلى حالة من التفكك الأسري والطلاق في بعض الأحيان فلم يعد بعض الأزواج يحتملون حال زوجاتهم القبيسيات وتدخل الآنسات في علاقتهم الزوجية التي وصلت في بعض الحالات إلى طلب الآنسة من بعض المريدات الطلاق من أزواجهم بسبب اعتراضهم على انشغالهنّ في أمور العمل الدعوي أو خدمة الآنسات.

4.2. الصعيد التعليمي (المدارس):

روي أن رسول اللَّه محمد _صلى اللَّه عليه وسلم_ دخل المسجد فإذا بحلقتين إحداهما قوم يقرأون القرآن ويدعون اللَّه، والأخرى يَتعلمون ويُعلمون، فقال النبي _صلى اللَّه عليه وسلم_: "كلٌّ على خير، هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون اللَّه، فإن شاء اللَّه أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلِّمون وإنما بُعثت مُعلمًا فجلس معهم"[27].

(25) التعليم الديني القبيسيات والانطلاق من السلامة نحو الانحراف، مجلة جهينة، العدد23، لعام 2007، انظر الرابط: http://www.jouhina.com/magazine

(26) سورة النساء، الآية "33".

(27) العبادلة، عبد الجليل علي، الطرق الصوفية في بلاد الشام وأنماط التدين الشبابية، الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص157.

وجاء في صحيح ابن حبان بيان فضل التعليم بقوله: "وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إنَّ العلماء ورثة الأنبياء"[28].

والأحاديث عن فضل العلم والتعليم في الإسلام كثيرة وربما هي السبب في توجه العديد من الجماعات الدينية لتأسيس العديد من المدارس ومراكز حفظ القرآن. فتشير الاحصائيات إلى وجود 120مدرسة لتحفيظ القرآن تحت اسم (مدارس الأسد لحفظ القرآن)، إضافةً إلى وجود 600 معهد لتحفيظ القرآن الكريم في كافة المحافظات السورية.

إلا أن جماعة القبيسيات تحديداً هنّ الأكثر نشاطًا واهتمامًا بهذا الموضوع، حيث أنهنّ بارعات في مجال الاستثمار التعليمي، فبالإضافة إلى انتشارهنّ في المدارس الحكومية كمدرسات ومديرات فقد نجحنّ بالإشراف على 40٪ من مدارس دمشق الخاصة التي غالبًا ما يُطلق عليها اسم الدار (دار النعيم، دار الفرح، أشبال الفيحاء، مدرسة عمر بن الخطاب، البشائر في المزة، عمر بن عبد العزيز في الهامة، دوحة المجد في المالكي، البوادر في كفر سوسة، منهل المجد ومدارس الأنس....الخ)، ويَتَّبعنّ في هذا المدارس مناهج وزارة التربية والتعليم السورية مع إضافة بعض الدروس الدينية[29]، والعديد من النشاطات الأخرى، حيث أنَّ القبيسيات يمتلكن صالات مسرحية واستديوهات للإخراج الفني. ويستثمرن الأعمال الفنية من أجل زرع قيم الجماعة في نفوس الصغار. ولا شك أنهن نجحنّ في توظيف الأدوات التقنية ووسائل التعليم الحديثة لخدمة أهدافهنّ[30].

تهتم القبيسيات على وجه الخصوص بالطالبات في كافة مراحلهنّ العمرية؛ من أجل ضمهنّ إلى صفوف الجماعة، فتُصرِّح دينا رستم، إحدى الآنسات القبيسيات المقربة من منيرة القبيسي ومدرسة اللغة الانكليزية والمختصة في علوم الفقه الإسلامي لأول مرة على الإعلام، قائلة:

---

(28) المصدر السابق نفسه.

(29) عماد، عبد الغني، الجماعات الصوفية والإسلامية والأنماط الجديدة للتدين في سوريا، كتاب الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص526.

(30) الحاج، عبد الرحمن، الأخوات القبيسيات قصة انبعاث أول حركة نسوية للإحياء الديني، موقع الشهاب، 1428هـ، انظر الرابط: http://www.chihab.net

"تقوم الآنسة القبيسية بتحفيز الطالبات على الانتساب للجماعة، وأنا شخصيًا استطعت أن أضم غالبية الطالبات اللواتي أقوم بتدريسهنّ إلى جماعة القبيسيات، فتنسيب الطالبة أمر مهم للغاية، حيث تتضمن الدروس تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، بالإضافة إلى التحدث عن أمور الطهارة والخصوصيات التي تخجل الأمهات في العادة التحدث لبناتها عنها"[31].

إنَّ سياسية الاهتمام بتعليم الفتيات يشمل معظم فروع هذا التنظيم في الدول العربية. فجمعية بيادر السلام في الكويت تشرف على العديد من المؤسسات التربوية التعليمية للفتيات مثل (مدرسة القطوف، حضانة السلام، وحضانة دار الفرح)، وتقسم الحلقات التعليمية في هذه المؤسسات على أساس العمر إلى ثلاث فئات (النوادر، البشاير، البيادر) [32].

أما في الأردن فتُعَدُّ فادية الطباع إحدى المساهمات في مدرسة (الدر المنثور) في عمان والتي تركز على حفظ القرآن الكريم.

أما في لبنان، فقد أسست الآنسات القبيسيات (السحريات) مؤسسات جعلتهنّ مستقلات ماديًا، كمدارس ومعاهد لتحفيظ القرآن الكريم، حتى أنهنّ شكلنّ جمعيات طلابية غير سياسية، هذه المؤسسات استطاعت جذب أعداد كبيرة من الطلاب، حيث أنها تعتمد أسلوب التعليم المتنوع والمتوازن، وأقساطها معتدلة، ومناهجها حديثة، تقتصر على ما أقرته وزارة التعليم ولا تتضمن دروسًا دينية مكثفة، إضافةً إلى كوادرها التعليمية المميزة حيث أن الآنسات فيها خريجات أفضل الجامعات الخاصة [33].

لكنّ العديد من الأهالي أخذوا يشتكون مما أسموه عنصريةً ضد العنصر الذكري، حيث أنهنّ يهتممنّ بشكل مبالغ فيه بالفتيات ويتبعنّ سلوكيات تقوم على التفرقة بين الذكور والإناث من الصغار، فمثلًا تعاقب الطالبة المخطئة بإجبارها على الجلوس إلى جانب أحد الصبية [34]. كما أنهن يعملنّ على تقديم الدين للطفل على أنه مجموعة من الأدعية التي يجب أن تقال بشكل دائم قبل الطعام والشراب أو قبل دخول الحمام، وأن الطفل الذي ينسى الدعاءَ سوف يعاقب أشد العقاب من اللّه سبحانه وتعالى.

كل هذه السلوكيات تنعكس سلبًا على نفسية الأولاد وتكوين شخصياتهم في المستقبل حيث تخلق حالة من الكراهية وعدم الشعور بالمساواة بين الذكور والاناث.

(31) الباشا، أروى، القبيسيات بين السرية والعلنية نشاط دعوي أم تعليمي داخل المدارس السورية، كلنا شركاء، 2010، انظر الرابط: http://all4syria.info

(32) عماد، عبد الغني، الجماعات الصوفية والإسلامية والأنماط الجديدة للتدين في سوريا، كتاب الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص543.

(33) الشيخ، بيسان، السحريات في بيروت مؤمنات ناشطات في مدارسهن منحازات ضد الصبيان، جريدة الحياة، بيروت، العدد 15770، 2006.

(34) المصدر السابق نفسه.

بعد هذا العرض لدور الآنسات القبيسيات في مجال التعليم يمكننا أن نتساءل، ما هو هدف القبيسيات من الانتشار في المدارس بهذا الشكل وربط تَعلم الدين والشريعة بالانتساب إلى الجماعة؟ مع أنَّ المناهج التعليمية في سوريا والبلدان العربية تتضمن مادةَ التربية الدينية منذ الصف الأول الابتدائي وحتى الثالث الثانوي، والتي تقدم للطالب كل ما يمكن أن يحتاجه في أمور دينه، أما بالنسبة للعائلات التي ترغب بتوجيه أبناءها نحو العلم الشرعي فهنالك العديد من المدارس الشرعية الأخرى العامة والخاصة، والتي لا تتبع إلى تنظيم بعينه.

أما على صعيد رجال الدين فنرى أن بعضهم يُشيدون بدور القبيسيات في التعليم، وأثرهن في زرع القيم الإسلامية في نفوس الطالبات، يقول البوطي: "أنا لست ضد انتشارهن في المدارس لتنوير أكبرَ عدد من الطالبات بتَعَاليم الشريعة الإسلامية طالما أنه ليس هناك تجاوز للحدود؛ لأنَّ الإسلام يقبل كلَّ فئة منفتحة تتقبل الآخرين وتحب التعايش مع المجتمع"[35]، ولعل البوطي كان يقصد أنه لا مانع من انتشارهنّ طالما أنهنّ لا يتدخلنّ في الأمور السياسية في البلاد.

أما محمد حبش فيرى أنَّ هذه الجماعة "تساعد على دفع المرأة نحو العمل والانتاج وخاصة في الإطار التعليمي والثقافي"[36]. في الواقع إنَّ قول حبش يلامس الحقيقة إلى حد ما، حيث أنَّ عدداً كبيراً من القبيسيات هن خريجات جامعيات من كافة الاختصاصات العلمية والعلوم الشرعية، وبعضهن حائزات على دراسات عليا، حيث أنَّ الآنسات بشكل عام يُشجِّعن الفتيات على الاهتمام بدراستهنّ وتحصيلهنّ العلمي بأفضل شكل، ولكن ما هو السبب وراء هذا الاهتمام يا ترى؟

نعتقد بأنَّ الجماعةَ تسعى لرفع مستوى مريداتها العلمي والثقافي لتقطع الطريق على أي شخص يتهم بنات ونساء الجماعة بالجهل والتخلف، بالإضافة إلى أنَّ ذلك يساعدهنّ على اجتذاب العديد من الفتيات ذوات المستوى التعليمي المتواضع، اللاتي يصدقنّ كلَّ ما يقال لهنّ في هذه الجلسات، بحجة أنَّ بينهنّ نساء على قدر عالٍ من الثقافة والعلم والتأهيل الديني، وقد يكُنّ حافظات للقرآن، وبذلك لا تستطيع الاعتراض على كلام تتقبله الأخرى الأعلى منها تحصيلًا علميًا.

(35) الباشا، أروى، القبيسيات بين السرية والعلنية نشاط دعوي أم تعليمي داخل المدارس السورية، كلنا شركاء، 2010، انظر الرابط: http://all4syria.info

(36) المصدر السابق نفسه.

4.3. المشاريع الخيرية:

تعمل جماعة القبيسيات على الاشراف على تدريس مئات الآلاف من الطلاب من مختلف المراحل الدراسية في المدارس أو المساجد، كما أنها تعمل على رعاية البعض عبر المساعدات الخيرية والأهلية. فقد اشتهرنّ بإقامة الحفلات، المدفوعة الثمن والمبالغ فيها من حيث الكم والنوع، في مناسبات دينية واجتماعية مختلفة. ريع هذه الحفلات غالبًا ما يُشَكِّل المورد المالي للمؤسسات الخيرية والخدمية اللاتي يشرفن عليها. والتي تقوم بدورها بتقديم المساعدات للطلاب، والمواد التموينية والاستهلاكية للأسر الفقيرة، إلا أنَّ العديد من الأشخاص يشتكون من هذه المساعدات التي يعتبرونها شكلية، وماهي إلا بدافع الدعاية للجماعة، ولا تتناسب مع الدخل الوارد للجمعيات التابعة لهنّ، فهم يرون كيف أنَّ معظم الآنسات يَعشنَ في فيلات فارهة، ويمتلكنَ سيارات فخمة، ويُسرفنَ، في إقامة الولائم، وبالمقابل لا يتردَّدن في استغلال الكثير من النساء البسيطات المحبات للدِّين في سبيل خدمة مصالحهنّ. فالمريدة الفقيرة الحال ترى في تقديم الخدمات المجانية لهذه الآنسات شرفٌ لها.

كما تُقدم القبيسيات المساعدات الطبية في مشفى السلامة التابع لهنّ والواقع خلف السفارة الأمريكية في دمشق.

أما في الكويت فقد افتَتَحت جمعية بيادر السلام السوق الخيري لدعم الشعب السوري، حيث فاق حجم التبرعات الـ 15 مليون دينار كويتي، بالإضافة إلى جمعهنّ التبرعات العينية [37]، وإنشاء لجنة الإغاثة لسوريا، إنَّ هذا الأمر مثير للاستغراب، في ظل موقف صارخ للقبيسيات السوريات إلى جانب الأسد، لكن من غير المعلوم إلى أين اتجهت هذه المساعدات، هل اتجهت لنظام الأسد أم للمعارضة؟

(37) المعيلي، فضة، تحت شعار "من كويت الوفاء إلى سوريا الإباء" بيادر السلام دشنت الحفل الخيري لدعم الشعب السوري، صحيفة الوطن، 2012،
انظر الرابط: kuwait.tt.http://alwatan

5. علاقة الجماعة بالتيارات الفكرية والدينية المختلفة:

كونت الأخوات القبيسيات ظاهرةً فريدةً من نوعها إسلاميًا وعالميًا، فقد أثارت العديد من النقاشات والجدالات حولها، فانقسمت الجماعات بين مؤيد لهذه الظاهرة ومدافع عنها، وبين متسائل عن أسباب غموضها ومنتقد أو مسيء إليها.

فقد أثارت حفيظة الرجال؛ كونها حركة نسائية مغلقة في وجوههم، في حين أنها لفتت أنظار الباحثين من أصحاب التوجهات اللادينية؛ لكونها ذات صبغة دينية، أما الكثيرين فقد أثارتهم حالة السرية والغموض المحيطين بهذه الجماعة.

5.1. العلاقة مع الجماعات الإسلامية في سوريا:

كانت القبيسي تتمتع بعلاقات جيدة ومميزة جداً مع الشيخ أحمد كفتارو شيخ الطريقة النقشبندية في دمشق، وربما كانت تربطهما علاقة الشيخ بالمريد. ويُقال إن الشيخ كفتارو هو مَنْ نصحها بتأسيس هذا التنظيم. كما أنها بقيت حتى وفاته تأخذ منه النصح وتستشيره في الأمور الشرعية.

يُؤكد هذا الأمر الشيخ صلاح كفتارو نجل الشيخ أحمد كفتارو، حين ذكر في لقاء له مع قناة العربية أنه يتذكر كيف كانت منيرة القبيسي تزور والده وتتلمذ على يديه، حتى انطلقت في الدعوة، وأضاف أنها تربت في كنف والده، وفي تصريح آخر له لصحيفة الحياة اللندنية عام 2006م، قال إنَّ منيرة القبيسي طلبت منه أن تختلي بجثمان الشيخ كفتارو في مشفى دار الشفاء لدى رحيله عام 2004م، حيث بقيت هناك أكثرَ من ساعة ونصف الساعة.

أما الشيخ البوطي فيعد من أكبر المناصرين والمدافعين عن حركة القبيسيات. ففي شهادة له على موقع "نسيم الشام" بعد التعاطي الإعلامي الناقد مع هذه الظاهرة رأى البوطي أن: "الأخوات القبيسيات يمثلن الإسلام الحضاري والوطني الواعي، البعيد عن الغلو، والمترفع عن النفاق."، وأخذ البوطي يشيد بنشاطهن وجهودهن في مجال التربية والتعليم حيث أنهنّ أسّسنّ أجيالًا من الفتيات المتحليات بالقيم الإسلامية والأخلاقية السامية، إضافة إلى إشادته بابتعادهنّ عن السياسة والانخراط في الأحزاب السياسية واتباعهنّ مبدأ الوسطية، وأنهنّ متعلمات ومثقفات وخريجات جامعيات، وأنَّ العديد من بنات ونساء عائلته منتسبات لهذه الجماعة أو على علاقة بها ومنهن زوجة ابنه وابنته.

أما المفتي الحالي للجمهورية الشيخ بدر الدين حسون فكان له رأي أخر في هذه الجماعة، فيرى أن" القبيسيات فئة أساسها صحيح وفكرها سليم ولكنها للأسف استُعملت من عدة جهات دينية وغير دينية، ودخل إليها عددٌ ليسوا منها أصلًا، وزرعوا فيها مَن يستثمرها استثماراً خاطئًا"[38]. فهل يقصد بهذه الجهات نظامَ الأسد المستفيد الأول من وجود هكذا تنظيمات؟ أم أنَّ موقفه اليوم بعد ثورة عام 2011م، قد تغيير كما تغيير موقف القبيسيات ووقوفهنَّ إلى جانب نظام الأسد.

أما محمد حبش عضو مجلس الشعب السابق فيرى فيهنّ "ظاهرةً صحيةً وطبيعيةً"، ويرى أنَّ هناك الكثير من الإشاعات والتهويلات حولهن؛ بسبب الحالة السرية، وعدم الظهور للعلن. ويرى أنهنّ يُعلمنّ الأجيال الدين الإسلامي المعتدل البعيد عن التطرف والتكفير[39]. إذًا باستثناء الشيخ حسون نجد أنه تربطهم علاقاتٌ وديةٌ مع الأطراف الإسلامية كافةً في سوريا، ودائما ما نجدهم مدافعين عن القبيسيات في وجه كل اتهام موجه لهنّ.

وهنا علينا ألا ننسى التنظيم الإسلامي للإخوان المسلمين، مع أنَّ الفترة التي بدأت فيها القبيسيات بالظهور والانتشار، تتزامن مع خروج قسم من الإخوان المسلمين من سورية ودخول البقية سجون النظام. فقد رأى التنظيم النسائي لجماعة الإخوان المسلمين "الأخوات المسلمات"، أن للقبيسيات فضل في دعوة النساء للتدين وارتداء الحجاب. ولكنهنّ يأخذنّ عليهنّ ابتعادهنّ عن السياسية؛ مما يؤدي بالنتيجة من وجهة نظرهنّ إلى دعم النظام بشكل أو بآخر.

لكن هذا الرأي قد تغير بعد ثورة عام 2011م، في سوريا، حيث بدا التناقض جليًا بين الجماعتين، فتقول إحدى الناشطات الإسلاميات التي تربطها صلات بجمعية القبيسيات، أنَّ شريحةً كبيرةً من المنتميات إلى جماعة القبيسيات لم يدعمنّ الثورة، فقد اعتبرنّ أنَّ الثوارَ يعرضون حياة السوريين للخطر؛ بسبب اهتمامهم المفرط بالحياة الدنيوية فيما يجدر بهم أن يكونوا أكثرَ زهداً لإنقاذ أرواحهم[40].

(38) التعليم الديني القبيسيات والانطلاق من السلامة نحو الانحراف، مجلة جهينة، العدد 23، لعام 2007، انظر الرابط: http://www.jouhina.com/magazine

(39) الجرمقاني، راما، قبيسيات سوريا، موقع الراصد، 2008، انظر الرابط: http://www.alrased.net/main

(40) لوفيفر، رافاييل، صعود الأخوات السوريات، موقع صدى، 2013، انظر الرابط: http://carnegieendowment.org/sada/?lang=ar

5.2. العلاقة مع الطائفة الشيعية:

حَضرت العديد من الآنسات القبيسيات عام 2009 احتفالًا في السفارة الإيرانية بمولد السيدة الزهراء. حيث قام كل من السفير الإيراني، والمستشار الثقافي، بتكريم السيدات المعروفات بكونهن قبيسيات [41]، فمحبة المتصوفة لآل البيت أصيلة وتجعل علاقاتهم بالشيعة لا تخلو من التعاطف، فعلي بن أبي طالب وآل بيته _رضي اللَّه عنهم_، هم الأكثر ذِكرًا في أسانيد الطرق الصوفية وأناشيدها واستغاثتها [42].

كما أنَّ الصوفية واسمها، مُتهمان من قبل بأنهما من مصدر شيعي. فقد قيل إن أول من نُعت بالتصوف هو الكيميائي جابر بن حيان، وهو شيعي من أهل الكوفة.

5.3. العلاقة مع التيار السلفي:

إنَّ العلاقات الجيدة مع الطائفة الشيعية وممثليها الإيرانيين، تتناسب طردًا مع موقفٍ وعلاقةٍ سيئةٍ مع التيارات السلفية والوهابية، الذين بدأوا يطلقون صيحات التحذير تارة والتكفير تارة أخرى بعد دخول القبيسيات ومنهجهم الصوفي الى عقر دار السلفية في دول الخليج العربي.

حيث صَدرت في القبيسيات فتوى اللجنة الدائمة للأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، برقم، (11–16)، بتاريخ (18–05–1414 ه)، اعتَبرت فيها أنَّ الطرق الصوفية والنقشبندية كلها طرق مبتدعة مخالفة للكتاب والسنة، بل لا تخلو من الشرك الأعظم بسبب الغلو في تقديس الشيوخ، والاستعانة بهم من دون اللَّه سبحانه، إضافةً إلى الطاعة العمياء للشيخ، واعتَبَرت الفتوى أنَّ "مَن زعم أن أحدًا تجب طاعته بعينه مطلقًا غير رسول اللَّه _صلى اللَّه عليه وسلم_ فقد ارتدَّ عن الإسلام".

وقد حذَّرت الفتوى من تولية رجال ونساء الصوفية التدريس والتربية، ودخولهم في الجمعيات النسائية وغيرها؛ لئلا يفسدوا عقائد المسلمين.

---

(41) انظر موقع المستشارية الثقافية الإيرانية

(42) نزال، عمران سميح، الطرق الصوفية في الأزمة السورية وحدة الجذور واختلاف المصير، الاسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى،2013، ص484.

ورأت الفتوى أيضًا أنَّ على الرجال منع زوجاتهم وبناتهم من دخول هذه الجمعيات التي تتولاها الصوفية. وأنَّ مَن اعتنق مذهب الصوفية فارق أهل السنة والجماعة. ومَن اعتقد بمعجزات شيوخ الصوفية فقد أشرك باللَّه الشرك الأكبر المخرج من الملة [43]. صحيح أنَّ الفتوى لم تذكر جماعة القبيسيات بالاسم، لكنها بالطبع تشير إليهنّ بشكل واضح جداً، من خلال ما ورد فيها من الأوامر والنواهي لبعض الأمور التي لا توجد إلا لدى القبيسيات دون غيرها من الطرق الصوفية الأخرى.

إنَّ هذا الخلاف بين الفقهاء بشكل عام والصوفية، ليس بجديد. فقد كان قائمًا منذ القرن الثالث الهجري على مدى شرعية المسلك الصوفي الذي أخذ يتخلله الشطح والدعاوي العريضة البعيدة عن الدين الإسلامي وروحه [44].

فالصوفية خلال تاريخها الطويل تخللها الكثير من المُدَّعين الذين نشروا الخرافات والبدع، إلا أنَّ أصحاب الطرق الصوفية الحقيقيين، وقفوا على الدوام في وجه هذه البدع. فهذا مؤسس الطريقة القادرية الشيخ عبد القادر الجيلاني، كان من أعظم المعارضين لكل تصوف لا يتفق مع الكتاب والسنة ويحكمهما في جميع الأحوال والأمور حيث يقول: "كلُّ حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، والطريق إلى الحق لا يحصل إلا بجناحي الكتاب والسنة"[45].

أما الشيخ خالد ذو الجناحين يوصي أتباعه النقشبندية بقوله: "أما بعد، فأوصيكم وآمركم بالتأكيد الأكيد بشدة التمسك بالسنة السَّنِيَّة، والإعراض عن الرسوم الجاهلية، والبدع الردية، وعدم الاغترار بالشطحات الصوفية"[46].

مما يعني أنَّ الصوفية ليست بحد ذاتها هي الكفر أو مفارقة أهل السنة والجماعة، كما ورد في الفتوى السابقة، ولكن اتباع بعض الطرق المبتدعة، والممارسات البعيدة عن روح الإسلام، هي المؤدية للكفر.

والواقع أنَّ هذا الموقف من السلفية تجاه الصوفية ليس بجديد. فقد عُرف عن ابن تيمية بأنه من أكبر الناقدين للتصوف الفلسفي والسلوكي المخالف للشرع حسبما يرى، وللشيخ محمد بن عبد الوهاب الموقف نفسه، وكذلك هو الحال في التنافس بين الشيخ ناصر الدين الألباني، والشيخ سعيد رمضان البوطي [47].

---

(43) الحازمي، ناقد، جماعة القبيسيات الصوفية التي تسمى (جمعية بيادر السلام)، شبكة الأثري السلفية، انظر الرابط: http://www.alathary.net

(44) عودة، أمين يوسف، التصوف في بلاد الشام التاريخ والأثر والواقع المأمول، الاسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للبحوث والدراسات، دبي، الطبعة الأولى،2013، ص18.

(45) حيدر، محمود، منزلة السياسة لدى الطرق والتيارات الصوفية في لبنان، الاسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص306.

(46) المصدر السابق نفسه، ص309.

(47) نزال، عمران سميح، الطرق الصوفية في الأزمة السورية وحدة الجذور واختلاف المصير، الاسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى،2013، ص486،487.

5.4. موقف القوى والشخصيات اليسارية:

في هذه الفقرة سنقوم باستعراض موقف اليسار السوري من هذه الظاهرة. يُعتبر الباحث نبيل فياض، من أبرز من اهتم بموضوع القبيسيات. حيث يرى أنَّ "القبيسيات وغيرها من التنظيمات الأصولية الإقصائية، لَسْنَ أقل خطراً على وحدة المجتمع من أي تنظيم أصولي طالباني آخر"[48].

في حين نرى البعض يميل إلى المقاربة بين تنظيم الإخوان المسلمين، وظاهرة القبيسيات؛ من خلال انتشارها داخل وخارج سورية كما هو حال تنظيم الإخوان، وأنها حركة نشأت تعويضًا لفشل الإخوان في سوريا من خلال استثمار العنصر النسائي البسيط، الذي أصبح في رأي عمر البحرة سلفي إقصائي "مع انحدار السيدات بفكرهنّ المنزلي البسيط نحو فكر سلفي جهادي دعوي إقصائي مترافق مع إيمانهنّ بكثير من المعتقدات التي لا تمت للإسلام بصلة"[49].

وهنا يظهر جليًا موقف اليسار المصاب بالإسلام فوبيا، الذي يحاول ربط أي تجمع إسلامي بالفكر الجهادي السلفي، في تحليل غير دقيق لهذه الجماعة البعيدة كلَّ البُعد عن أي فكر سلفي كما بينا سابقًا، كما أنَّ هذه الجماعات قد دُعمت بالأساس حكوميًا؛ لتقويض انتشار الفكر السلفي وحركات الإسلام السياسي. وهذا ما بدا واضحًا جداً بعد ثورة 2011 في سوريا.

ولكن ليس علينا أن نَغفل عن التحذيرات الجادة التي يطلقها اليسار، وخاصةً فيما يخص أثر هذه الجماعة في تكوين الأجيال الناشئة. فيقول البحرة مجدداً: "تكمن خطورة تنظيم السيدات في أن غالبيتهم من الأمهات التي تقوم بتنشئة وإعداد أجيال في ظل تحييد تام لسلطة الأب، أو أن يكون الأب من نفس فكر وغباء السيدة، ومن المنتظر أو آن الآوان لظهور جيل جديد من الشباب المستلب فكريًا، والمُحمَّل بالأفكار الجهادية والسلفية الظلامية والمعادية للعلم بأشكاله كافة"[50].

---

(48) فياض، نبيل، الخلفية الجنسية للقبيسيات، موقع الناقد، 2005،انظرالرابط: http://www.annaqed.com/

(49) البحرة، عمر، القبيسيات الأمهات المؤمنات ومجمع أبو النور، الحوار المتمدن، العدد 1056، لعام2004،

انظر الرابط: http://www.ahewar.org/debat/nr.asp

(50) المصدر السابق نفسه.

6. الأخوات القبيسيات في وسائل الإعلام:

لم يبدأ تسليط الضوء إعلاميًا على ظاهرة الأخوات القبيسيات حتى عام 2002، ففي الإعلام المرئي نرى كيف أنَّ مسلسلَ "بقعة ضوء" قد خَصص إحدى حلقاته للأخوات القبيسيات ليتناول ظاهرة تغلغلهنّ في أوساط الطبقة المخملية، واستغلال العمل الدعوي لتحقيق مصالح الآنسات الشخصية، أما مسلسل "عصي الدمع" عام 2004، فقدم نقداً موضوعيًا لأفكار القبيسيات وتصوراتهم الدينية المنغلقة.

وفي رمضان عام 2006 وهو التاريخ الذي بدأت فيه القبيسيات بالعمل العلني بعد أن كانت تنظيمًا سريًا، تم عرض مسلسل "الباقون"، الذي أخرجه نجدت انزور والذي خصص ثلاث حلقات بعنوان "البرزخ"، سلَّط فيها الضوء على الأسلوب الذي اتبعته القبيسيات لنشر أفكارهن [51].

وأخيرًا مسلسل "ما ملكت أيمانكم" أيضًا للمخرج نجدت أنزور عام 2011 حيث تناول بشكل مباشر نشاط القبيسيات في دمشق ومجالسهن إضافةً لتصويره تدخل الآنسات في حياة الطالبات ورسم مستقبلهن وبعض المواقف التي تصور ممارسات مازوشية تعتمد على تعذيب النفس والجسد.

أما الصحافة فقد تنبهت لهذه الظاهرة بشكل متأخر، حيث بدأت بالاهتمام بها منذ عام 2006، فكتب إبراهيم حميدي في صحيفة الحياة تقريرًا مطولًا بعنوان "يرتدين الحجاب الكحلي ويملكن شبكةَ تدريس ونفوذ واسعة؛ الآنسات القبيسيات يباشرنَ في سورية انخراط النساء في الدعوة الإسلامية بموافقة السلطات".

وهناك الكثير من الأمثلة الأخرى فقد بدأت تمتلئ الصحف الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي بالمقالات والشهادات لقبيسيات منشقات عن التنظيم، وبدا بشكل واضح اهتمام الصحافة العالمية عبر تقارير ومقالات في "نيويورك تايمز" و"نيوز ويك" وغيرهما. حيث نجدهم يشيرون للقبيسيات كلما تطرقوا للحديث عن خطر الإسلام السياسي في سورية، إلا أنَّ هذا الاهتمام الإعلامي قد تزايد بشكل واضح عربيًا وعالميًا بعد ثورة عام 2011، وخصوصًا بعد وقوف الجماعة بشكل معلن إلى جانب نظام الأسد.

(51) الحاج عبد الرحمن، الأخوات القبيسيات قصة انبعاث أول حركة نسوية للإحياء الديني، موقع الشهاب للإعلام، 1482هـ.

7. انتقادات حول الجماعة:

كما أشرنا سابقًا فإن جماعة القبيسيات لاقت الكثير من الانتقادات من جهات مختلفة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. ومن هذه الانتقادات:

7.1 السرية المطلقة:

تتميز هذه الجماعة بالسرية المطلقة. وهي الحالة التي أثارت الكثير من الانتقادات حولها. حيث أنه لا يسمح لأي فتاة جديدة بحضور الدروس إلا بعد موافقة الآنسة، إضافةً إلى أننا لا نملك أي وثائق مكتوبة عنهنّ، ورفضهنّ التام لأي ظهور اعلامي، إلا في بعض الحالات النادرة جدًا، فالطريقة الوحيدة لمعرفة أخبارهنّ عن طريق المنشقات عن الجماعة.

البعض اعتبر أنَّ هذه السرية كانت نتيجة ظروف معينة، فَرضت عليهنّ العمل السري. ولكن لماذا استمرت هذه السرية بعد عام 2006، حين سُمح لهن بالنشاط العلني؟ لماذا بقي كل هذا الغموض يحيط بهنّ دون أدنى توضيح؟

7.2 الانتقائية:

صحيح أن تنظيم القبيسيات انتشر بين جميع طبقات المجتمع المدني المسلم ولكن هذا لا ينفي محاولتهن جذب مريدات من بنات المسؤولين وذوي النفوذ والثراء، فالعديد من الفتيات يشتكينّ من تقرب الآنسات من الفتيات الثريات، والاهتمام بهن بشكل مبالغ فيه، ومعاملتهنّ معاملة خاصة، يقول معن عبد السلام: " إنهنّ يعلمنَ نساء الطبقة الفقيرة كيفية التواضع أمام أزواجهنّ وكيفية الصلاة، في حين أنهنّ يعلمنّ نساء الطبقة العليا كيفية التأثير في السياسة"[52].

في الوقت الذي ينفي فيه وزير الأوقاف السوري زياد الدين الأيوبي محاولة القبيسيات استقطاب نساء وبنات المسؤولين لتحقيق النفوذ وتشكيل "مظلة حماية"، توفر لهنّ الحصول على رخص للتدريس في المساجد والمدارس [53]. إن كان كلام وزير الأوقاف صحيحًا؛ فلماذا تتكون قيادات الصف الأول في الجماعة من هذه الفئة بالتحديد، هل لأنهنّ أكثر إيمانًا وعقيدةً من الفقراء أو بنات الطبقة الوسطى؟

---

(52) Zoepf Katherine. Women lead Islamic revival in Syria. The new York times/2006

(53) الجرمقاني، راما، قبيسيات سوريا، موقع الراصد،2008.

إنَّ ما تقوم به القبيسيات في هذا الخصوص يتعارض مع مبدأ الطرق الصوفية التي تتقرب عادة من الفقراء، ويقُال إنَّ أبا إسحاق إبراهيم بن داوود القصار الرقي، أحدُ كبار صوفية الشام، كان ملازمًا للفقر مجردًا فيه محبًا لأهله [54]، فأين هنّ شيخات الصوفية القبيسيات من هذا المنهج الصوفي؟

7.3. نشر البدع والضلالات:

وهنا كالعادة نجد التيارات السلفية في مقدمة المنتقدين لمعتقدات وممارسات هذه الجماعة. وإن كانت بغالبها معتقدات صوفية تتبعها معظم الطرق الصوفية وليس القبيسيات فحسب ومنها:

- الاعتقاد بوحدة الوجود: أي أنه لا فرقَ بين الخالق والمخلوق. وإثبات ذلك في كتاب معتمد من قبل القبيسيات "المتاح في الموالد والأناشيد الملاح".
- الصلاة النارية: وتكون بأعداد خاصة، وسرعة مذهلة، وفي أوقات خاصة، وجلسات فردية أو جماعية.
- تقديم الطاعة للشيخة، واعتبار كلامها مقدسًا، مع أن القدسية للَّه وحده، وتقبيل يديها وقدميها.
- تقديم طاعة الشيخة على طاعة الأهل والزوج.
- المواظبة على أذكار معينة وصلوات مبتدعة مثل: "صلاة التسابيح، صلاة الأوابين، صلاة الظلمة".
- التسبيح الجماعي، ووضع المسبحة من جهة القلب لاستحضار الشيخة الكبيرة، عند ذلك يمتد النور لهنّ مباشرة، وهذا ضرب من السحر.
- إيراد العديد من الأحاديث بسند ضعيف أو أنها ليست بأحاديث نبوية أساسًا.
- إيراد أوراد محددة بذاتها بعد الصلاة.
- زيارة القبور وتقديس الأضرحة.
- التشكيك في السنة النبوية المحمدية.
- اعتمادهنّ على كتب مريبة ومبتدعة مثل (مزامير داوود).
- تأليف أناشيد دينية على نفس ألحان الأغاني الدارجة.

(54) عودة، أمين يوسف، التصوف في بلاد الشام التاريخ والأثر والواقع المأمول، الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للبحوث والدراسات، دبي، الطبعة الأولى،2013، ص15.

- ممارسة السحر وتحضير الجن والرهبنة.
- تعذيب النفس؛ فالعذاب الجسدي عندهن نوع من التكفير عن الخطايا.
- كشف أسرار البيوت للآنسات تحت ذريعة أنها تأخذ بيد الفتاة لتجاوز مشاكلها[55].

كلُّ هذه الانتقادات كانت من قِبل الجماعات السلفية وبعض أهل السنة والجماعة كما أشرنا سابقًا.

إنَّ بعض هذه الانتقادات مثل: الأوراد المحددة، وزيارة القبور، والأضرحة، لا تخص القبيسيات وحدهنّ؛ وإنما هي ممارسات تتبعها الطرق الصوفية بشكل عام، في حين أنَّ الاعتقاد بوحدة الوجود؛ يعتبر معتقداً أساسيًا لدى النقشبندية تحديداً.

أما بالنسبة للانتقادات الأخرى، فمن غير المثبت أن تكون القبيسيات يمارسنّ السحر على الرغم من الإشاعات الكثيرة حول هذا الموضوع، وكذلك الأمر بالنسبة لاعتمادهن كتاب "مزامير داوود"، فهو كتاب موجود قبل ظهور التنظيم ولا يُعرف اسم مؤلفه أو تاريخ طباعته أو أية معلومات أخرى، كما أنه ليس مخطوطًا إسلاميًا، وقد أجمع المؤرخون على فساده [56].

7.4. السطحية والتبعية:

مما يؤخذ على القبيسيات، السطحية في تناول المواضيع، ففكرهنّ يتصف بانعدام منهج الشك المعرفي، وأخذ كلام المشايخ على أنه كلام قطعي غير قابل للنقاش أو إعادة التفكير فيه. وهو منهج عام لدى كلِّ الطرق الصوفية. فالمنهج الصوفي يعتمد على فكرة تلقين الشيخ للمريد بشكل أساسي، وعلى الطاعة العمياء للشيخ، وهذا ما ينطبق طبعًا على علاقة الآنسة القبيسية بالمريدة.

7.5. الشذوذ والمثلية الجنسية:

من بين أكثر الاتهامات مغالاةً وتجريحًا للقبيسيات، اتهامهنّ بالشذوذ الجنسي، فالعديد من الرجال اتهموا نساء هذه الجماعة بالشذوذ الجنسي؛ بسبب عزوف الكثيرات منهنّ عن الزواج، واختلائهنّ لساعات طويلة في دروس داخل المنازل. ومن أكبر المُتَّهِمين للقبيسيات بالشذوذ الجنسي، كان عبد الرزاق عيد، حيث كتب مقالًا بعنوان "المثليات جنسيًا في الغرب، والقبيسيات السحاقيات

---

(55)

(56) Altaher Shkek, Silver John, القبيسيات الماسونية الضائعة، مجلة الملحدين العرب، العدد 22، 2014م.

في غابات الأسد الإيرانية"، ادعى فيه أن تأسيس هذه الجماعة كانت بمباركة الأسد ومخابراته، وأنّ نواة هذه الجمعية هن من (السحاقيات) ولا سيما كبيرات التنظيم وهنّ من نساء المسؤولين المضمونين لطائفيتهم أو لكونهم أقلية" [57].

أما نبيل فياض فيتساءل: "هل القبيسيات تنظيم ساحقي واقعًا أم أنهنّ تنظيم ديني ساحقي النكهة؟" ويجيب بالقول: "ميدانيًا أثبتت القبيسيات أنهن غير سحاقيات عمومًا؛ لكنّ الطريق الذي تسير عليه هؤلاء النسوة لا بد أن يوصل للسحاقية شبه الكاملة يومًا، كتاب الآنسة الأم لا يفيد في إيقاف إفراز الهرمونات في جسد المرأة، ومصادرة المشاعر عبر الأدعية أو الكيلوتات لا يعني قتلها، لذلك يبدو أن هذا الانتحال للذكورة سيوصل مع تراكم الزمن إلى حالة انتشار للسحاق بين القبيسيات. وخاصةً أنَّ الإسلام لا يبدو متشددًا للغاية في هذه المسألة عمومًا"[58].

ربما مَرَدُّ هذا الاتهام كما أشرنا هو العزوف عن الزواج، ولكن هناك العديد من النساء العازفات عن الزواج لأسباب عدة منها: الاهتمام بالتحصيل العلمي، أو بالنضال في قضايا حقوق المرأة، أو التفرغ للعمل الدعوي الديني، فهل بإمكاننا أنَّ نتهم كل امرأة عازفة عن الرجال بأنها سحاقية؟ مع أننا لا نستطيع أن ننفي بشكل قاطع وجود حالات فردية لا يمكن أن تصبغ الجماعة بصبغتها.

بالمقابل، لا نرى أي انتقاد أو تسليط للضوء على ما يحصل من تجاوزات دينية وأخلاقية في الحفلات النسائية "(كحفلات الزفاف والمناسبات الخاصة"، التي تقام في المدن الكبرى مثل: دمشق وحلب وحمص، والتي يمكن أن تخلق بيئة مناسبة لانتشار الشذوذ الجنسي بين النساء. فارتداء الملابس الفاضحة وإظهار المفاتن بشكل مبالغ فيه في هذه الحفلات، لا يمكن مقارنة تأثيره مع ما قد يمكن حصوله في دروس دينية تقام في المنازل.

(57) عبد، عبد الرزاق، المثليات جنسيا في الغرب والقبيسيات السحاقيات في غابات الأسد الإيرانية، موقع شام لايف،2014، انظر الرابط: http://shamlife.com

(58) فياض، نبيل، الخلفية الجنسية للقبيسيات، الناقد، 2005.

٠7٠6 اتهامات سياسية وأمنية:

سنتناول في هذه الفقرة الاتهامات السياسية والأمنية الموجهة لجماعة القبيسيات حتى عام 2011م٠

عرَّف المفكر الإصلاحي محمد شحرور المختص بالشؤون الإسلامية القبيسيات على أنهن: "عبارة عن شبكة تخترق صانعي القرار في سوريا، وتسعى لإقامة دولة إسلامية على غرار طالبان"[59]، ويرى أنه بعد هزيمة عام 1967، أخذت القبيسيات مجدهن وحصلن على شهر عسل مع السلطة٠

في حين يرى نبيل فياض فيهن التنظيم الأخطر على السِّلم الاجتماعي والوحدة الوطنية٠ ويصفهنّ بالنسوة الطائفيات [60]، لكن وكما هو معروف للجميع فإن الابتعاد عن السياسة كان مبدأً قبيسيًا ثابتًا حتى عام 2011٠

وفي عام 2007، حاولت إحدى القبيسيات ترشيح نفسها لانتخابات مجلس الشعب؛ مستغلة علاقاتها الاجتماعية الواسعة، لكنّ منيرة القبيسي رفضت ومنعتها من الترشح [61]، وقد كان هذا قرارًا صائبًا منها، حيث أنها استطاعت أن تنأى بجماعتها عن كل الأحداث التي هزت سوريا٠ فلو خاضت هذه الحركة أي عمل سياسي لكانت أثبتت التهم الموجهة إليها، وعلى رأسها أنها تمارس نشاطًا سياسيًا سريًا٠ لكن عدم خوض الآنسات القبيسيات آنذاك غمار أي عمل سياسي، وعدم تدخلهنّ في أحداث الإخوان المسلمين؛ أثبت أنهنّ لا يمتلكنّ أي أجندات سياسية٠

أما الداعية الإسلامية أسماء كفتارو حفيدة الشيخ أحمد كفتارو والمقربة من جماعة القبيسيات فتقول: "ليس للقبيسيات أجندة سياسية، هن سيدات يعشقن الدين، أصبح لديهن حب السلطة على الناس ليس أكثر، وليس حب السلطة السياسية، وليس لديهن جسور ممدودة مع أشخاص لديهم ميول سياسية"[62]٠

أما صحيفة النهار اللبنانية قد نشرت تقريراً لشعبان عبود بعنوان "رجال العمائم أكثر حضوراً من المثقفين"، قال فيه نقلًا عن ضابط أمن سوري: "القبيسيات يمثلن عقبةً أمام الأجهزة الأمنية، نظراً لامتدادهن، وعلاقاتهن العنكبوتية الواسعة"٠

---

(59) محمد، عفراء، حركة القبيسيات النسوية سكوك عقائدية ومخاوف سياسية، DW، 2010.

(60) فياض، نبيل، الخلفية الجنسية للقبيسيات، موقع الناقد، 2005.

(61) الحاج، عبد الرحمن، الأخوات القبيسيات قصة انبعاث أول حركة نسوية للإحياء الديني، موقع الشهاب للإعلام،1428هـ.

(62) إبراهيم، سناء، حوار مع السيدة أسماء كفتارو، موقع ألف، 2010، انظر الرابط: http://aleftoday.info

كلُّ هذا بفضل الارتباطات الوثيقة بنساء الضباط والمسؤولين كما ذكرنا سابقًا، بالإضافة إلى أنَّه من غير المستبعد أن تكون لبعضهن علاقات مباشرة بالأجهزة الأمنية.

هذه الصورة البعيدة عن السياسة، بقيت الجماعة محافظةً عليها حتى تغيرت بشكل كامل بعد عام 2011.

8. علاقة القبيسيات بنظام الأسد:

جرت عادة القبيسيات عقد جلساتهن في المنازل حتى عام 2006، حين أصدر النظام قراراً يسمح لهنّ بالعمل العلني في المساجد والمدارس؛ بعد أن تأكد النظام أنَّ حركة القبيسيات ليست سوى امتداد نَسَوي لباقي الجماعات الصوفية التي تتسم عادة بالموادعة ومسايرة الحكام. فقد أثبتت الدراسات أنهن لا يشكِّلنَ أي خطر سياسي، بل على العكس لعبنّ دوراً مهمًا في حالة الاستقرار الاجتماعي، والحد من حركات الاحتجاج، عن طريق إشغال عقول النساء بالقضايا الدينية فقط.

بالطبع لم يُصدر النظام مثل هذا الترخيص إلا بعد كفالات عديدة من مشايخ الصوفية في دمشق، فصلاح الدين كفتارو يرى أن حركة الدروس في البيوت مخيفة، وبالتالي فمن حق الدولة أن تمنع الدروس في البيوت لكن ليس في المساجد.

أما البوطي فيقول: "من مصلحتكم أن تعطوا الموافقات للعمل بالعلن، أعطوهنّ المواثيق للعمل العلني؛ لأن عملهنّ مستقيم ووطني وليس فيه أي شائبة أو علاقة بالسياسة"، هذه إضافة لاتفاق نَجْلَي كفتارو والبوطي على أن: "الأخوات القبيسيات يقمن بالدعاء المستمر للرئيس بشار الأسد من دون التطرق للسياسة"[63].

ومن الأسباب التي جعلت النظام السوري يشعر بالأمان تجاه هذه الحركة؛ أنَّ معظم قادتها وعضواتها البارزات من نساء مشايخ السلطة أو المسؤولين وذوي النفوذ في سوريا[64].

(63) حميدي، إبراهيم، شقيقة أحمد جبريل في حلقات الآنسة منيرة القبيسي، صحيفة الحياة، العدد 15734، 2006.

(64) سركيس، منى، جمعيات نسائية باطنية في سوريا باسم الإسلام القبيسيات يعملن لاختراق مراكز القرار، موقع قنطرة،2006، انظر الرابط:

والحقيقة أن جماعة القبيسيات لم تخيب أمل النظام، بل وقفت إلى جانبه بعد قيام ثورة 2011، فكافئها بإصدار المرسوم رقم / 88 / بتاريخ 12/ 03/ 2014 القاضي بتعيين القبيسية سلمى عياش بمنصب معاون وزير الاوقاف، وبهذا الشكل يضمن النظام بقاء هذه الجماعة تحت سيطرته بشكل كامل.

9. موقف القبيسيات من ثورة 2011:

مع انطلاق ثورة عام 2011 في سوريا، اتخذت بعض الأطراف موقف الحياد ولم تعلن عن مواقفها صراحةً، ومنها جماعة القبيسيات، ولكن مع تطور الأحداث وامتداد رقعة الثورة لتشمل معظم المدن السورية أصبح لزامًا على جميع الأطراف تحديد موقف واضح من الأحداث.

مع نهاية عام 2012، خرجت جماعة القبيسيات والجماعات الإسلامية الأخرى عن صمتها، لتعلن بشكل واضح موقفها من الثورة، وانقسمت بذلك بين مؤيد ومعارض.

أما بالنسبة للقبيسيات فقد أبدت تأييدها للنظام في عدة مواقف كان أولها وليس آخرها لقائهن بالأسد في القصر الجمهوري ضمن وفد الداعيات الإسلاميات، بعد ذلك بدأ إعلام الثورة بتوجيه الاتهامات لهنّ بوقوفهن بصف الظالم، وتحمليهن جزءاً مما أصاب السوريين من ظلم وقتل. والحقيقة أنَّ موقفهنّ غير مستغرب؛ فهنّ في النهاية يرتبطنّ أشد الارتباط بمشايخ السلطة من آل البوطي وكفتارو.

تقول إحدى القبيسيات أن: "القبيسيات كالقطيع يتبعنّ النظام في كل شيء وهن يؤيدنّ النظام طالما أنه يسمح لهنّ بتحفيظ القرآن ونشر فكرهنّ"[65].

والحقيقة أن القبيسيات لسن متفردات بهذا الموقف، فبعد وصول حافظ الأسد إلى السلطة، حاول الشيخ أحمد كفتارو جاهداً التخفيف من حدة عداء البعث للدين عن طريق تبنيه لقضايا قومية كالوحدة العربية والدفاع عن الإسلام المعتدل المتسامح،

(65) عنب بلدي، القبيسيات سكوك وردود حول العلاقة مع نظام الأسد، المندسة السورية، 2012، انظر الرابط: http://the-syrian.com

أدرك حافظ الأسد موقف كفتارو هذا وأخذ يتقرب من الإسلام الصوفي ويدعمه في الكثير من الحالات لكي يضفي الشرعية الدينية على حكمه [66].

أما البوطي فقد رفض بشكل قطعي الخروج على الحاكم إذا لم يظهر منه كفر معلن صريح. وحتى في هذه الحالة، فهو يشترط القدرةَ والوسائلَ السليمة [67].

قام بشار الأسد كما والده من قبله، باستغلال هذا الفكر وكسب أنصاره إلى جانبه، فنرى كيف أنه نظَّم لقاءً معهنّ، على ما يبدو دون علم هذه الجماعات، من أجل إعلان تأييدهن له بشكل رسمي، لكن بعد انتهاء اللقاء تحدثت بعض الحاضرات لوسائل الإعلام عن كيفية حصول هذا اللقاء. فتروي إحداهن، كيف أنهن ذهبن تلبيةً لدعوة اعتيادية من وزارة الأوقاف كونهن مديرات مدارس شرعية للبنات ومعاهد حفظ القرآن وتم ذلك في المسجد الكويتي بشكل طبيعي. وبعد انتهاء اللقاء تم نقلهنّ بباصات، ثم وجدنَ أنفسهنّ في قصر بشار الأسد، وقد ذكرت واصفةً اللقاءً بأنه عادي؛ وأن الكثيرَ من الحاضرات استئنّ من أسلوب إحضارهن [68]. ثم تتفاجأ الداعيات بعد الانتهاء بنشر وكالة الأنباء خبرًا حول الموضوع مرفقًا بالصور. هذا أمر جد طبيعي الحدوث في ظل الأنظمة الديكتاتورية التي تتعامل مع مواطنيها بسياسة الفرض والأمر الواقع.

حاول البعض الدفاع عن الداعيات من جهة أن حضورهنّ لهذا الاجتماع كان من "باب درء المفاسد"، فهنّ نساء مستضعفات لا يقوينّ على الوقوف في وجه نظام ظالم مجرم، كما أن حضورهنّ مِثل هذا الاجتماع، لا يعيد للنظام شرعيته. إضافةً إلى أنَّ بعض رجال الدين الذين انضموا إلى صفوف الثورة كمحمد حبش والشيخ احسان بعدراني، حاولوا بشتى الوسائل ايجاد مبررات لشرعنة هذا اللقاء.

أخذ موقفهن يتَّضح أكثر، بعد الكلمة التي ألقتها معاونة وزير الأوقاف القبيسية سلمى عياش في إحدى الاجتماعات الدينية بحضور وزير الأوقاف زياد الدين الأيوبي، وبدر الدين حسون، لبحث موضوع فقه الأزمة فتقول: "أحب أن أطمئنكم، لا توجد أزمة واقعية بين صفوف داعياتنا في سوريا أبداً وإن وجدت فهي لا تتجاوز اثنان بالمائة ممن هن خارج صفوف الداعيات المنضبطات بشروط الوزارة" وربما هي إشارة للقبيسيات المنشقات عن الجماعة تحت اسم "حرائر القبيسيات"، وتكمل قائلة: "حاولوا اختراق

(66) بلحاج، عبد الصمد، الصوفيون والإخوان المسلمون في سوريا البوطي ومدرسته، الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013، ص434.

(67) المصدر السابق نفسه.

(68) عكس السر يكشف لعبة من ترتيب القصر الجمهوري، موقع عكس السير، 2012، انظر الرابط: http://www.aksalser.com/news

صفوفنا لكنهم لن يقدروا؛ لأن من أهم قناعاتنا أنه يجب أن يكون أصغرَ مُصَلٍّ في أصغر بلدة تحت أنظارنا"[69]. فهي بذلك تقدم باسم جماعتها كافة فروض الطاعة والولاء، وتطمئن النظام أنهن مسيطرات على الوضع بشكل كامل وداعمات له.

لكن الداعيات الإسلاميات عمومًا والقبيسيات من ضمنهنّ لم يكتفينّ بالتصريحات المؤيدة للنظام إلا أنهنّ أعربنّ عن موقفهنّ بشكل مباشر ومثير للجدل عبر احتفالهنّ في وسط جامع بني أمية الكبير في دمشق تهليلًا ودعوةً علنيةً باسم اللَّه لتجديد البيعة والولاء لمرشحهنّ وقائدهنّ "بشار الأسد"[70]، متناسين جرائم هذا النظام الهمجي بحق السوريين وبحق النساء المستضعفات اللاتي عانينَ الويلات من اعتقال واغتصاب وقتل، ومتجاوزين فجأة مبدأ الحياد والابتعاد عن السياسة في سبيل تأييدهنّ للأسد.

بدأ هذا الاحتفال بكلمات لنداء حرم اغاسي، والداعية سوسن فلاحة، والداعية خديجة الحموي، ومن ثم قامت خلود خادم سروجي بإطلاق الأناشيد ودق الدفوف والتمايل على أنغامها في وسط حرم الجامع.

في الواقع، صحيح أن الجماعات الصوفية عبر التاريخ كانت دائمًا ما تنأى بنفسها عن الدخول في صدامات مباشرة مع السلطات الحاكمة وتكتفي بجهاد النفس وتزكيتها وتَحَلِّيها بالأخلاق الحميدة، إلا أن التاريخ الصوفي مليء بالشواهد على مقاومة الظلم والوقوف بوجهه، فمن أعلام الصوفية المجاهدين في فلسطين، الشيخ عز الدين القسام، ومحدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسيني، اللذان كانا يحثان الناس على الجهاد ضد الفرنسيين، كما اشتهروا سابقًا بجهادهم ضد الصليبين وشاركوا صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس والعديد من السلاطين العثمانيين في فتوحاتهم وحروبهم[71] .

إذًا فالاستكانة للظلم والقتل ليست من سمات الصوفية الحقيقية، فأين مواقف شيوخ الطرق الصوفية اليوم من هذا الظلم الذي يلحق بالسوريين؟

---

(69) انظر الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=JpYos_IC-_k

(70) انظر الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=V-r7YeKAkdI

(71) عودة، أمين يوسف، التصوف في بلاد الشام التاريخ والأثر والواقع المأمول، الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام، مركز المسبار للبحوث والدراسات، دبي، الطبعة الأولى، 2013.

10. الانشقاقات داخل الجماعة (كيف ولماذا؟):

جماعة القبيسيات مثل كل الجماعات والأحزاب؛ تتعرض لانقسامات وانشقاقات، فكل مريدة تخرج عن الجماعة لأي سبب كان يطلق عليها لقب المنشقة. وللانشقاق عن التنظيم أسباب عامة عدة، من أهمها: ما يتعلق بممارسات الجماعة وأفكارها، لكن السبب الرئيسي وراء انشقاق أعداد كبيرة من القبيسيات، كان موقف الجماعة من ثورة 2011.

10.1 أسباب العامة:

- اتباع أسلوب التقية "إظهار أمر وإخفاء عكسه".
- الطاعة المطلقة والتقديس للشيخة.
- منع أخذ الدِّين إلا عن طريق الآنسات والكتب التي تُقرهنّ للمريدات، مثل الكتب التالية:
  - ✓ فقه العبادات "درية عطية".
  - ✓ عقيدة التوحيد في الكتاب والسنة "سعاد ميبر".
  - ✓ كتاب التوحيد "سعاد ميبر".
  - ✓ فقه السيرة للبوطي.
  - ✓ رجال حول الرسول.
  - ✓ دلائل الخير.
- تأثيرهم السلبي في العلاقات العائلية؛ نتيجة تعلق البنت بالآنسة وعدم اهتمامها بإرضاء الوالدين أو الزوج.
- الاهتمام بنساء الطبقة الغنية وإهمال الفقراء، وهو أمر يتعارض تمامًا مع مبادئ الصوفية التي تَعتبر أنَّ الغِنى في القلب، وفي مقدار التقرب من اللَّه.
- تدخل الآنسات في اختيار الزوج للبنات الناشطات، على أساس وضعه المادي وعدم اعتراضه على عمل زوجته في الدعوة، وليس صلاحه وورعه الديني.

10.2. الانشقاقات بعد ثورة عام 2011م:

كان الابتعاد عن السياسة قبل ثورة 2011م، أمرًا سهلًا، إلا أنَّ النظام عمل منذ انطلاق الثورة على استغلال الجميع وإدخالهم في حقل التأييد وشرعنة القتل والعنف، وخاصة جماعة القبيسيات شديدة القرب من المؤسسة الدينية التقليدية في سوريا، والمُسَيطَرُ عليها من قبل النظام، من خلال علاقتها ببعض رجالها ككفتارو والبوطي.

أدى هذا الانجرار إلى صف النظام؛ لانقلاب بعض الجماعات الدينية مثل: جماعة زيد، وبعض الشيوخ المعروفين، مما أثَّر على هيكلية القبيسيات بشكل لا يستهان به، فالتنظيم يضم بكل تأكيد الكثير من مؤيدي الثورة ومساندِيها من طالبات الصفوف الأخيرة. أما آنسات الصف الأول فهنّ إلى جانب النظام قلبًا وقالبًا، وخاصةً كونهن من بنات المسؤولين المقربين من النظام[72].

في عام 2011م، ظهرت صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي تحت اسم "حرائر الثورة المنشقين عن القبيسيات"، وأخذت توجه انتقادات لاذعة لآنسات التنظيم، وفي العام نفسه، ظهر أيضًا على اليوتيوب فيديو تحت اسم "انشقاق حرائر من دمشق عن القبيسيات"[73]، يوجه الفيديو نقداً للجماعة يتمثل في النقاط التالية:

- فصل الدين عن الحياة، وقصره على الشعائر التعبدية.
- تجاهل دور خلافة الإنسان للّه على الأرض.
- ممارسة أدق صور التواطؤ والتخاذل مع الظلم ضد ثورة الحق في سوريا.
- الفصل التام بين المبادئ الإسلامية والتطبيق.
- تشويه صورة الحرائر الطاهرات.
- المغالاة في تبني صوفيةٍ يرفضها أئمة الصوفية أنفسهم.
- الخوض في الكرامات والخرافات بوصفها جزءاً من الدين.
- التواكل السلبي بدلًا من العمل.
- التبعية المطلقة، وإلغاء العقل، وأخذ كلام الشيخة على أنه مقدس.

(72) زين، ناصر، القبيسيات وإثارة الجدل دراسة عن السلطة والدين، موقع زمان الوصل، 2014، انظر الرابط: https://zamanalwsl.net/index.php

(73) انظر الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=6LXMHbee0zQ

- استخدام النصوص الدينية للترويج لفكر القطيع، وتَجلى ذلك بطرد الفتيات الثائرات اللاتي خرجنّ عن القطيع ليثرنَ على الظلم.
- حصر العلم الشرعي في كتب معينة تتفق مع أساس أفكارهنّ واستخدام أحاديث ضعيفة وموضوعة، بالإضافة إلى القراءة المجتزئة للآيات القرآنية والسنة النبوية.
- التثبيط عن الوقوف مع الحق، والترويج للباطل، مستغلات بذلك تأثيرهنّ على شريحة واسعة من الطالبات لإقناعهنّ أنَّ الثورة فتنة وأن شهداءها يُشك بأنهم شهداء عند اللَّه.

كلُّ هذه الأسباب، قبل ثورة عام 2011م وبعدها، دفعت العديد من النساء والبنات للاعتقاد بشكل جدي أنهنّ مُستغلات من قبل بعض من يمارسنّ الدين والمشيخة للوصول إلى غاياتهن المادية والسلطوية.

إنَّ ظاهرة الانشقاقات هذه تدفعنا اليوم للتفكير مليًا بمستقبل هذا التنظيم في الساحة السورية والوطن العربي والعالم عمومًا.

11. القبيسيات إلى أين؟

هناك العديد من الأسباب التي تجعلنا نتساءل عن مستقبل هذا التنظيم، ومنها الانشقاقات بأعداد كبيرة، وارتباط التنظيم برأس واحد متمثل بالآنسة الأم منيرة القبيسي كشخصية مركزية تحقق تواصل الجماعة مع اللَّه. إلا أنَّ السؤال الأهم المطروح هنا هو: أين هي منيرة القبيسي الآن؟

فلم يُسجل أي ظهور للقبيسي منذ أكثر من خمسة عشر عام، فهي لا تخرج من دارها، وليس لها أي دور إداري مباشر، وارتباط هذه الجماعة بالشيخة منيرة محض ارتباط أدبي [74]، وقد ظهرت العديد من الاشاعات التي تفيد بوفاة الآنسة منيرة، إلا الآنسات الكبيرات يخفين هذا الأمر للحفاظ على ما تبقى من هذه المؤسسة الضخمة من الانهيار [75].

كما أنَّ احتجاب القبيسي منح فرصة ظهور وبروز قيادات الصف الأول من الجماعة؛ الأمر الذي قد يُسهل انتقال الخلافة إلى إحداهنّ، وخصوصًا وأن التركيبة الصوفية للجماعة ليست من النوع المتين الذي يسمح لانتقال سلس للخلافة دون حدوث انشقاقات عادة

(74) حبش، محمد، القبيسيات الملف المجهول، كلنا شركاء, 2014، انظر الرابط: http://all4syria.info/Archive/151719/comment-page-1

(75) Altaher Shkek, Silver John, القبيسيات الماسونية الضائعة، مجلة الملحدين العرب، العدد 22، 2014م.

ما تصاب بها الحركات الدينية، فمقام الشيخ ينتقل غالبًا بطريقة توريثية، حيث يقوم الشيخ بتسمية خليفته مسبقًا قبل موته أو يتم اختياره عن طريق إجماع صفوة أهل الطريقة.

في الحقيقة لا نملك معلومات فيما إذا كانت منيرة القبيسي قد اختارت إحدى الآنسات لترأس التنظيم، إلا أن شخصية ووضع أميرة جبريل يجعلانا نعتقد أنه من الممكن أن تكون هي المرشحة الأولى لتزعم القبيسيات خلفاً للشيخة الأم، فهي من ساهمت في انتشار التنظيم في العديد من الأقطار العربية والأجنبية، وتحظى غالبًا بدعم نظام الأسد؛ كونها شقيقة أحمد جبريل أحد مناصرين النظام السوري، كما أننا لا نملك أية معلومات حول وجود منافسات أخريات لأميرة جبريل.

لكن علينا ألا ننسى دور المنشقات عن التنظيم في رسم مستقبل الجماعة وخاصة وأنهنّ عملنّ على تشكيل تنظيم حرائر القبيسيات، فهل سيكون لهذا التنظيم مستقبل على الأرض؟ وهل يمكنه أن ينافس التنظيم الرئيسي للأخوات القبيسيات؟

خاتمة:

وفي الختام، يمكننا أن نجمل أهم ما توصلنا إليه من نتائج من خلال بحثنا المفصل، الذي تناولنا فيه ظاهرة القبيسيات من مختلف جوانبها الدينية والاجتماعية والثقافية ومدى علاقتها بالسياسة آملين في ذلك أن نقدم للقارئ فهمًا كافيًا حول هذا الظاهرة، تاركين الباب مفتوحًا أمام الباحثين الآخرين لتطوير وإغناء ما توصلنا إليه من استنتاجات تتلخص في النقاط التالية:

- التأكيد على أنَّ هوية جماعة القبيسيات هي صوفية نقشبندية لا تمت للسلفية الجهادية بصلة، ولا ترتبط بالحركة الإخوانية مطلقًا، فممارسات هذه الجماعة ومنهجها العام يتوافق تمامًا مع الطريقة النقشبندية. ومنطلق نشأتها كان بإيعاز من شيخ الطريقة النقشبندية أحمد كفتارو وعلى يد تلميذته القبيسي بنت العائلة الصوفية النقشبندية.
- يُعَدُّ تنظيم القبيسيات أكبر تنظيم نسائي إسلامي في العالم من حيث: عدد العضوات، والانتشار في معظم أنحاء العالم؛ وذلك بفضل تزويج المريدات من المغتربين، وتبني ناشطات إسلاميات لهذه التجربة النسائية الإسلامية الرائدة من وجهة نظرهن، إلا أنَّ ذلك لا يعني ارتباط بعضهن بالتنظيم الأم في دمشق.
- تعتبر جماعة القبيسيات من أكثر الطرق الصوفية مغالاةً في تقديس مشايخها ورموزها الدينية؛ ويرجع ذلك لإيمانهنّ بقدسية الرابطة، واستحضارهنّ الآنسة الأم في جلساتهن، بالإضافة إلى تفضيلهنّ حج المعاني على حج المباني.
- إنّ اعتماد الآنسات القبيسيات منهج الوصاية على المريدات سمح لهن بالتدخل في حياتهن الاجتماعية وأمورهن الخاصة؛ مما أدى إلى حالة من التفكك الأسري، إضافة إلى تشويه مفهوم العلاقة الزوجية وإضعاف شعور الثقة بالنفس لدى المريدة؛ نتيجة هذا المنهج القائم على السيطرة والتوجيه الدائم من قبل الآنسة.
- مع أنَّ جماعة القبيسيات استطاعت إدارة العديد من المدارس باستخدام أفضل التقنيات التعليمية والاعتماد على أكفأ الكوادر لتخريج أجيال ذات مستوى علمي جيد، حافظة للقرآن، ومتحلية بالقيم الإسلامية، إلا أنَّ هذا لا يعني أنهنّ يسعينَ إلى النهوض بالمجتمع من خلال إعداد هذه الأجيال. فالأسباب الحقيقة وراء ذلك تكمن في دوافعَ تنظيمية وأيديولوجية بحتة، فعملهنّ كمدرسات يهدف إلى توجيه ثقافة وفكر الطالبات في الاتجاه الذي يتناسب وأيديولوجيتهن، تلك الأيديولوجيا التي تسعى أن تكون الطالبة عضوةً فاعلةً في خدمة الجماعة أكثر من فاعليتها في المجتمع، إضافةً إلى أنهنّ بذلك يُسكتن كلَّ صوت يتهم الجماعة بالجهل.

- وجود تناقض صارخ مع أحد أهم مبادئ الطرق الصوفية القائم على التقشف وجهاد النفس عن ملذات الحياة الدنيا، فتكاد معظم آنسات الصف الأول في الجماعة أن تعيش حياةً مترفةً، في الوقت الذي نرى فيه نقص المساعدات في الجمعيات الخيرية التابعة للجماعة والتي لا تتناسب مع الدخل الوارد إليها.
- تسعى القبيسيات للبقاء على مسافة واحدة في علاقاتها بالجماعات الدينية والفكرية، فلا تدخل في صدام مباشر مع أي منها، فمعظم نساء عائلات كبار رجال الدين هنّ قبيسيات أو على علاقة طيبة بهنّ. أما علاقتهنّ بالتيار السلفي فلا تخرج عن سياق العداء التاريخي بين الصوفية والسلفية، وربما تكون الجماعة السلفية أشد عداءً للقبيسيات؛ لكونهنّ نساء، ومبالغات في تقديسهنّ للشيخة دون اللَّه.
- في حين أن الشخصيات اليسارية تتعاطى مع القبيسيات بنفس النظرة الهجومية للكثير من الجماعات الدينية الأخرى؛ لكونها ذات صبغة دينية فقط، فهم يبنون موقفهم من هذه الجماعة من خلال تناول ظاهرتها بشكل عمومي جداً.
- تُناقض القبيسيات مجدداً أحد أهم مبادئها الصوفية القائم على التقرب من الفقراء والزهد في الحياة مثلهم، فتسعى للتقرب من بنات المسؤولين والأغنياء اللاتي يُشكلنَ معظم آنسات الصف الأول بحجة أنهنّ يُؤمِّنّ حماية الجماعة من السلطة، ويسهلنّ عليها الحصول على التراخيص اللازمة للقيام بمشاريعهنّ التعليمية والخيرية.
- الابتعاد عن السياسية والتدخل في شؤونها بقي مبدأً قبيسيًا ثابتًا في ظل قيادةِ منيرة القبيسي للجماعة، إلا أنَّ وصول آنسات محبات للسيطرة على الناس ولهنّ ارتباطات وثيقة بالجهات الأمنية في الدولة، أدى إلى الحياد عن هذا المبدأ، وجر التنظيم للدخول في حقل السياسة، وإبداء موقف واضح مؤيد لنظام الأسد في ظل أصعب ظروف تمر بها سوريا عقب ثورة عام 2011. وعلى ما يبدو فإنَّ الآنسة الأم كانت هي الضامن لتوازن العلاقة مع السلطة، والمبني على استفادة النظام الحاكم من مبدأ الجماعة في عدم التدخل في الشأن السياسي، مقابل السماح لهنّ بالانتشار والعمل بين مكونات المجتمع، إلا أننا لا نملك أي دلائل على وجود ارتباط مباشر لها مع الجهات الأمنية في الدولة.

المصادر والمراجع

- السيد، أسامة، *التنظيم النسائي السري الخطير لمنيرة القبيسي*، دار المشاريع، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.
- درنيقة، محمد، *الطريقة النقشبندية وأعلامها*، سلسلة التصوف الاسلامي، الطبعة الأولى، 1992م.
- الشيخ، بيسان، *"السحريات" في بيروت مؤمنات ناشطات وفي مدارسهن منحازات ضد الصبيان*، الحياة، العدد 15770، 2006م.
- *الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام*، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، الطبعة الأولى، 2013م.
- جون، سلفر؛ شقيق، الطاهر، *القبيسيات الماسونية الضائعة*، مجلة الملحدين العرب، العدد 22، 2014م.
- حميدي، إبراهيم، *يرتدين الحجاب الكحلي ويملكن شبكة تدريس واسعة الآنسات القبيسيات يباشرن في سورية انخراط النساء في الدعوة الإسلامية بموافقة السطات*، الحياة، العدد 15734، 2006م.
- حميدي، إبراهيم، *شقيقة أحمد جبريل في حلقات "الآنسة " منيرة القبيسي، دمشق تسمح لـ "القبيسيات" بنشاط علني*، الحياة، العدد 15734، 2006.
- *التعليم الديني القبيسيات والانطلاق من السلامة إلى الانحراف*، موقع جهينة، العدد 23، 2007م.

http: / /www.jouhina.com /magazine

- إبراهيم، سناء، *حوار مع أسماء كفتارو*، موقع ألف، 2010، انظر الرابط:

http: / /aleftoday.info /index.php

- الباشا، أروى، *القبيسيات بين السرية والعلنية نشاط دعوي أم تعليمي داخل المدارس السورية*، كلنا شركاء، 2010، انظر الرابط:

http: / /all4syria.info

- البحرة، عمر، *القبيسيات: الأمهات المؤمنات ومجمع أبو النور*، موقع الحوار المتمدن، العدد 1056، 2004م انظر الرابط:

http: / /www.ahewar.org /debat /nr.asp?nm=1

- الجرمقاني، راما، *قبيسيات سوريا*، الراصد 2008، انظر الرابط:

http: / /www.alrased.net /main

- الحاج، عبد الرحمن، *الأخوات القبيسيات ... قصة انبعاث أول حركة نسوية للإحياء الديني*، موقع الشهاب 1428، انظر الرابط:

http: / /www.chihab.net /modules.php?name

- الحازمي، ناقد، *جماعة القبيسيات الصوفية التي تسمى (جمعية بيادر السلام)*، شبكة الأثري السلفية، 2004م.

http: / /www.alathary.net

- الخاطر، مريم، *تنظيم عقدي خطير يستهدف نساء قطر فانتبهوا*، بوابة الشرق 2012، انظر الرابط:

http: / /www.al-sharq.com

الرحبي، مية، *واقع المرأة السورية اليوم*، الحوار المتمدن 2005، العدد 1189.

http: / /www.ahewar.org /debat /nr.asp?nm=1

العبيدي، ساعي، القبيسيات الانطلاقة من سورية إلى الخليج حركة نسائية دعوية أم استخباراتية، موقع الراصد 2008، انظر الرابط:

http: / /www.alrased.net /main

حبش، محمد، القبيسيات الملف المجهول، كلنا شركاء 2014، انظر الرابط:

http: / /all4syria.info

زين الدين، ناصر، القبيسيات وإثارة الجدل دراسة عن السلطة والدين، زمان الوصل، 2014، انظر الرابط:

https: / /www.zamanalwsl.net

سركيس، منى، *جمعيات نسائية باطنية في سوريا باسم الاسلام "القبيسيات" يعملن لاختراق مراكز القرار*، قنطرة 2006، انظر الرابط:

http: / /ar.qantara.de

سلطان، عزت، *طباعيات الأردن*، الراصد 2008، انظر الرابط:

http: / /www.alrased.net /main

عنب بلدي، *القبيسيات شكوك وردود حول العلاقة مع نظام الأسد*، المندسة السورية، 2012، انظر الرابط:

http: / /the-syrian.com

عيد، عبد الرزاق، *المثليات جنسيًا في الغرب و(القبيسيات السحاقيات) في غابات الأسد الإيرانية*، شام لايف، 2014، انظر الرابط:

http: / /shamlife.com

فياض، نبيل، *الخلفية الجنسية للقبيسيات*، موقع الناقد، 2005، انظر الرابط:

http: / /www.annaqed.com

لوفيفر، رافاييل، *صعود الأخوات السوريات*، صدى 2013، انظر الرابط:

http://carnegieendowment.org/sada/?lang=ar

- محمد، عفراء، *حركة القبيسيات النسوية السورية شكوك عقائدية ومخاوف سياسية*، DW، **2010**، انظر الرابط:

http://www.dw.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A9/s-9106

- معيلي، فضة، *تحت شعار (من كويت الوفاء إلى سوريا الإباء) بيادر السلام دشنت الحفل الخيري لدعم الشعب السوري*، صحيفة الوطن،2012، انظر الرابط:

http://alwatan.kuwait.tt

- ملحم، نبيل، *القبيسيات في سوريا: بين التكفير والتبجيل والحيرة*، أخبار البوابة 2006، انظر الرابط:

/http://www.albawaba.com/ar

- *بشار الأسد يعين قبيسيه بمنصب معاون وزير الاوقاف لضمان ولاء القبيسيات*، كلنا شركاء، 2014م.

/http://all4syria.info

- *"بيادر السلام" دشنت سوقًا خيريًا لدعم الشعب السوري*، الوطن 2012، انظر الرابط:

/http://alwatan.kuwait.tt

- *عكس السير يكشف عن لعبة من ترتيب القصر الجمهوري ووزير الاوقاف للإساءة إلى داعيات دمشق*، عكس السير 2012، انظر الرابط

/http://www.aksalser.com/news

- *"قبيسيات فلسطين" ينفين منع التزين للزوج والتعري أمامه*، العربية نت، 2007 انظر الرابط:

/https://www.alarabiya.net

- موقع المستشارية الثقافية للجمهورية الايرانية-دمشق، الاحتفال بمولد السيدة الزهراء(ع)، ويوم المرأة والأم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية،2009م.
- Zoepf Katherine, *Women led Islamic revival in Syria*. The new York times /2006.

- http: / /www.nytimes.com /ref /world /middleeast /29syria.html?ref=world

مراجع ذات صلة تم الاطلاع عليها:

- **أوكتافيا، لاني، *ثنائية النسوية والإسلام في البحث عن نهج واستراتيجية*، ترجمة صفية مسعود، قنطرة، 2012، انظر الرابط:**

/http: / /ar.qantara.de

- **الشامي، ماريا، *قبيسيات الأسد الظل النسائي للإسلام المسيس*، سراج، 2014، انظر الرابط:**

/http: / /sirajpress.com

- **تزياكي، ماري تيريز، *القبيسيات والردة الحضارية*، شفاف الشرق الأوسط 2006، انظر الرابط:**

/http: / /www.middleeasttransparent.com /old

- **تيزيني، الطيب، *داعيات في أوساط النفوذ والثراء*، نساء سورية 2006، انظر الرابط:**

/http: / /www.nesasy.org

- ***حقيقة القبيسيات التنظيم النسائي*، انظر الرابط:**

/https: / /nno123.wordpress.com

- ***حرائر الثورة المنشقات عن تنظيم القبيسيات*، انظر الرابط:**

https: / /ar-ar.facebook.com /women.splition.from.Qubaisiate

- **سلطان فاخر، *النسوية الإسلامية*، الحوار المتمدن، 2012، انظر الرابط:**

http: / /www.ahewar.org /debat /nr.asp

- **شاهين، كمال، *مستقبل المرأة بين الديانات والتشريعات والواقع*، الحوار المتمدن، العدد 1131، 2005، انظر الرابط:**

http: / /www.ahewar.org /debat /nr.asp?nm

- شكر نيمت، *لا لتسييس القرآن*، ترجمة يوسف حجازي، قنطرة، 2012، انظر الرابط:

/http: / /ar.qantara.de

- شما، محمد، *الطباعيات في الاردن دعوة صامتة بأصوات ناعمة* ، شفاف الشرق الاوسط، 2010، انظر الرابط:

/http: / /www.middleeasttransparent.com /old

- صهيوني سامية، *من هن قبيسيات الاسد ولماذا يناصرن الأسد*؟، زاوية 2014، انظر الرابط:

http: / /www.zawya.com /ar /story

- عيد عبد الرزاق، *حول القبيسيات وتهمة الشذوذ الجنسي المثلي (السحاقي)مرة أخرى*، مفكر حر، 2014، انظر الرابط:

http: / /mufaker.org /?page_id=1365

وزير الأوقاف: أهمية الدعوة النسائية في التصدي للافتراءات على الاسلام والمرأة، الثورة، 2014، انظر الرابط:

http: / /www.thawra.sy /_print_veiw.asp?FileName=873681194201403180109 42

- Table,agha, Serene, *the qubaysiyat are feminists*, Syria comment, 2010.
  http: / /www.joshualandis.com /blog /the-qubaysiyat-are-feminists-by-serene-taleb-agha
- Roumanie, Rhonda, *En quête sur les qubeissiat de damas*،l'islamisme au féminin, 2009.
  http: / /www.courrierinternational.com /article /2009 /10 /15 /l-islamisme-au-feminin